

من منشورات الدائرة العلمية  
رابطة علماء فلسطين



زاد الأمين

توجيهات دينية وأخلاقية إلى رجال الأمن والشرطة الفلسطينية

إعداد/ ليف من علماء فلسطين

جميع حقوق الطبع محفوظة لرابطة علماء فلسطين \_ غزة



## مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وعلى اله وصحبه ومن والاه وبعد..  
أيها الإخوة الأمانة في أرض غزة الحبيبة، الذين مكن الله بهم لإقامة الحق والعدل والخير في الأرض فحملهم أمانة ومسئولية هذه الأمة ليكونوا قائمين على حدود الله تعالى، يا أبناء الوطن يا من رفعتم رأس أمتكم في كل ربوع الدنيا يطيب لنا أن نتواصل وإياكم من خلال هذا الكتاب الذي أعده لكم كوكبة من إخوانكم العلماء الغيورين عليكم وعلى أداكم وسمعتكم فأنتم عندنا في سويداء القلوب وأنتم كذلك بمثابة القلب من الجسد، فلا بد أن يبقى القلب سليماً معافى ليبقى الجسد قوياً صلباً.

وإنني سأضع بين أيديكم بعضاً من الزاد الذي يلزم المؤتمنين على دماء وأموال وأعراض المسلمين، لا بد أن تكون حاضرة في كل وقت وحين لتكون زاداً على طريق أهل الحق وإحفاقه وإقامة العدل والإنصاف بين الجميع.

### أولاً: العقيدة

أنتم يا شباب الإسلام ويا أبناء القوة الأمانة من أهل الإيمان والتوحيد، وعبادة المولى سبحانه وتعالى وإنني أقصد بالعقيدة هي أن تضع أخي الأمين نصب عينيك أنك تقوم بعملك تقرباً إلى الله سبحانه وتعالى، فتذكر اسم الله تعالى عند كل صباح ومساء، وعند كل عمل تقوم به لتستشعر الصلة بربك ولتستدر رضا الله تعالى عنك في عملك، ولتقوم جوارحك لتستقيم على أمر ربك سبحانه، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى " وقال سبحانه مخاطباً نبيه صلى الله عليه وسلم " قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ " فإذا كان العمل بهذا القصد وهذه النية كان عبادة خالصة للمولى سبحانه يؤجر صاحبها أجراً عظيماً وتستقيم كل أعماله وأقواله حسب منهج الله سبحانه.

### ثانياً: الأخلاق

إننا لم يُمكن الله تعالى لنا لتسلط على رقاب العباد ولا نكون رقماً إضافياً من أرقام الأجهزة التي تستبد بظلم الناس وقهرهم فلا بد أن يظهر في سلوكنا قولاً وفعلاً الخلق الذي يأمرنا به ربنا سبحانه من أدب وتواضع، وحفظ للحقوق، ومراعاة للعورات والحرمان، والتزام بالطيب من القول واللين من الحديث فأنتم يا أيها الأمانة تحت المجهر ينظر إليكم بعين المقارنة بينكم وبين من سبقكم من الذين كانوا يعربدون في شوارع الوطن دون حسيب ولا رقيب لا من الناس ولا من رب الناس، والخلق أيها الأمانة هو تاج لا يجوز أن يضعه عن رأسه واحد منكم في أي وقت وحين، ولا في أي مكان وزمان

كما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم " إن أقربكم إليّ وأدناكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً " وقال " إن الرجل ليبليغ بحسن الخلق درجة الصائم القائم " وأنتم أهل لكل خير .

### ثالثاً: الأمانة

وإن كانت بعضاً من الخلق القويم إلا أنها ذات خصوصية خاصة عندكم أيها الأمناء لأنكم مؤتمنون على الأنفس والأعراض، والأموال، وستسألون عن التقصير أو التفريط عن أي جزء منها أمام الله تعالى، فمن لها إذا لم تكونوا أنتم أهلها؟ ومن يراها إذا لم تكونوا أنتم حراسها؟ لقد أودعكم الله أمانة الأمة فلا بد أن تكون دماء الناس وأعراض الناس وأموال الناس مصانة بكم لا تنتهك مهما كانت المبررات والدوافع والأسباب، واحذروا سؤال الله يوم القيامة: قال تعالى " إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (72) لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا " فزنوا أنفسكم بهذه الآية واحرصوا على ما أمنكم عليه ربيكم.

### رابعاً: التقوى

أنتم يا أمناء الأمة قدوة ورمز وذخر ونموذج ومثال، وينظر إليكم الناس على أنكم تعكسون تربيبتكم وحكومتكم وإخوانكم ودينكم فلا تضعفوا أمام بعض المغريات الزائفة من عرض الدنيا الزائلة، واعلموا أن خطأ الواحد منكم بألف من غيركم وأعداؤنا ينتظرون أن تخطئوا لا أن تصيبوا وتحسنوا، وإن الحصن الذي يحميكم من الخلل والزلل هو تقواكم لربكم وابتعادكم عن الشبهات وهذا سلاح يحمي صفكم وصف أخوانكم، ويرضى ربنا سبحانه وتعالى ويجلب لنا كل خير، ويدرء عنا الشر كله، ويكون سبباً من أسباب زيادة العزة والنصرة والتمكين ويفرج عنا الكربات ويفتح لنا أبواب الخير والرزق العميم من حيث لا نحسب قال تعالى " وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ " وقال سبحانه " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ " .

وفي ختام هذا التقديم أسأل المولى عز وجل أن يوفقكم ويرعاكم ويسدد على طريق العدل والخير خطاكم وأن يديمكم سندا وذخراً لإخوانكم ولأهلكم وأمتكم إنه نعم المولى ونعم النصير .

الدكتور النائب/ مروان محمد أبو راس

رئيس رابطة علماء فلسطين \_ غزة

## العقيدة الإسلامية

بقلم الدكتور/ نسيم شحدة ياسين

أمين سر رابطة علماء فلسطين

هي الإيمان الجازم بالله، وما يجب له في ألوهيته، وربوبيته، وأسمائه وصفاته، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين وأمور الغيب وأخباره، وما أجمع عليه سلف الأمة، والتسليم لله تعالى في الحكم والأمر والقدر والشرع، ولسوله ﷺ بالطاعة والتحكيم والإتباع.

### • موضوع علم العقيدة:

العقيدة من حيث كونها علماً -بمفهوم أهل السنة والجماعة- تشمل موضوعات: التوحيد، والإيمان، والإسلام، والغيبيات، والنبؤات، والقدر، والأخبار، وأصول الأحكام القطعية، وسائر أصول الدين والاعتقاد، ويتبعه الرد على أهل الأهواء والبدع، وسائر الملل والنحل والمذاهب الضالة، والموقف منهم.

### • مصادر العقيدة (عقيدة أهل السنة والجماعة):

يعتمد أهل السنة والجماعة على خمسة مصادر، وهي:

- 1- كتاب الله تعالى (القرآن الكريم)، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.
- 2- ما صح من سنة الرسول ﷺ، فهو لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحى يوحى.
- 3- إجماع السلف: من الصحابة والتابعين وعلماء الأمة في القرون الفاضلة.
- 4- العقل الصريح الصحيح الواعي.
- 5- الفطرة السليمة التي لم تغيرها الأحوال.

### أهمية العقيدة والحاجة إليها:

1- يقال إن شرف العلم بشرف المعلوم، وما دام الأمر كذلك فإن هذا العلم وهذه العقيدة هي أهم العلوم وأشرفها، لأنها أساس الدين كله، ومنزلة هذا العلم من بقية العلوم كمنزلة القلب من الجسد.

2- بعث الله تعالى النبيَّ محمداً ﷺ بعد فترةٍ من الرسل وبعد انحراف البشرية عن دين الله تعالى ومنهجه، فكانت بعثته حياةً ونوراً لا غنى للبشرية عنهما، قال تعالى: ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مُبْتَأً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾ (الأنعام/122).

وظلَّ رسول الله ﷺ يصدع بكلمة الحق وينشر بين الناس العدل والخير والهداية، ويهتف قائلاً: (أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا).

وبقى القرآن ينتزل عليه في مكة المكرمة ثلاثة عشر عاماً، يحدثه عن قضية أساسية واحدة ألا وهي قضية العقيدة والتوحيد ممثلة في قاعدتها الرئيسة: الألوهية والعبودية، وما بينهما من علاقة.

3- والعقيدة هي القضية الكبرى، قضية كل إنسان في هذا الوجود، فهي تفسر سرَّ وجوده في هذا الكون، وغايته التي يسعى من أجلها، وتفسر له نشأته وتحدد له مصيره ونهايته، كما تجيبه على كثير من الأسئلة التي تدور في خلد، وفي جوابها ما يرسم له المنهاج المستقيم لحياته في الدنيا والآخرة.

من أنت أيها الإنسان؟! ومن الذي أوجدك؟! ولماذا أوجدك في هذه الحياة؟! وما المصير والنهاية التي تنتهي إليها بعد هذه الحياة؟! وما هي علاقتك بهذا الكون الذي تعيش فيه؟ وما علاقتك بخالق هذا الكون سبحانه؟! فلك أسئلةٌ تشغل بال الإنسان منذ أوجده الله تعالى في هذا الكون الفسيح.

وقد يقول إنسان: إن الإجابة عن هذه الأسئلة من السهولة بمكان لا سيما ونحن قد أصبحنا نعرف الكثير من العلم، وهي الآن لا تحتاج إلى عناءٍ كثيرٍ لمعرفة!.

4- وبعد غرس النبي ﷺ تلك العقيدة في نفوس أصحابه، وتربيتهم عليها، وتعريفهم بربهم سبحانه الذي خلقهم، وأن علاقتهم بربهم علاقة الخالق الرازق المشرِّع بال مخلوق المطيع، وأنه تعالى لا إله إلا هو، وعرفهم تكاليف هذه العقيدة وأعباءها، وصبروا على الطريق الطويل الشاق، وخلصت نفوسهم لله تعالى.. عندئذٍ جاءت العناية بكل جوانب البناء العظيم لهذه الشريعة الخالدة من عبادةٍ وأخلاق وسلوك وتشريع.

فالعقيدة هي الأساس الذي يقوم عليه البناء، وما لم يقد العمل على هذه العقيدة فإنه سيكون هباءً منثوراً، لا ينفذ صاحبه، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِن عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ (الفرقان/23).

وقد أراد الله تعالى أن يقوم هذا الدين على قاعدة أساسية هي قاعدة "الألوهية الواحدة"، فكل تشريعاته سبحانه، وكل تنظيماته تنبثق من هذه القاعدة.

إن نظام هذا الدين يتناول الحياة كلها، ويتولى شؤون البشرية كلها، وينظم حياة الإنسان ليس في الحياة الدنيا وحدها، بل في الآخرة وكذلك في عالم الغيب والشهادة وإلى غير ذلك من الأمور.

5- وليعلم الإنسان أن عقيدة "لا إله إلا الله" متى استقرت في أعماق النفس، استقر معها النظام التي تتمثل فيه هذه الكلمة، وتعيّن أنه النظام الوحيد الذي ترتضيه النفوس المستقرة فيها هذه العقيدة، واستسلمت هذه النفوس ابتداءً لهذا النظام، وقامت بتنفيذه على الوجه الأكمل، بل ودافعت عنه بكل ما تستطيع.

إن القلوب يجب أن تُخلص أولاً لدين الله تعالى، وتُعلن عبوديتها له وحده، بقبول شرعه وحده، ورفض كل شرع آخر غيره، فإن نظام الله تعالى خيرٌ في ذاته، لأنه من شرع الله، ولن يكون شرع العبد يوماً كشرع الله تعالى: ﴿ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ (البقرة/140).

6- إن الاستسلام لله تعالى هو مقتضى الإيمان بالله وتوحيده، ولذلك تلقت النفوس المؤمنة التي ربّاه رسول الله ﷺ أحكام الإسلام وتشريعاته بالرضى والقبول، لا تعترض على شيء منه فور صدورها إليها، ولا تتلأأ في تنفيذه بمجرد تلقّيها، فقد أبطل الإسلام الخمر، وأبطل الربا، وأبطل الميسر، والعادات الجاهلية كلها بآيات من القرآن الكريم، أو بكلمات من الرسول الكريم ﷺ، بينما النظم الوضعية تجهد في هذا كله بقوانينها وتشريعاتها ونظمها وجندها وسلطانها، ودعايتها وإعلامها، فلا تبلغ إلا أن تضبط الظاهر من المخالفات.

#### • خصائص العقيدة الإسلامية:

للعقيدة الإسلامية سمات وخصائص تميزها عن غيرها من العقائد والأفكار الأخرى، ومن أهم هذه الخصائص:

#### 1- التوقيفية:

فهي عقيدة يوقف بها على الحدود التي بيّنها وحددها رسول الله ﷺ، فلا مجال فيها لزيادة أو نقصان أو تعديل أو تبديل، فهي ربانية المصدر موحى بها من عند الله عز وجل، فلا تستمد أصولها من غير الوحي.

وهذه الخاصية تميزها عن غيرها من المعتقدات الوثنية التي تنشئها الأوهام والتصورات البشرية من تلقاء نفسها، كما أنها تميزها عن العقائد السماوية في صورتها الأخيرة التي آلت إليها على يد الأتباع بما أضافوه إليها، وبما حذفوه منها، وبما غيروا فيها وبدّلوا حسب ما أملت عليهم أهواؤهم وشهواتهم ومصالحهم البشرية، فتحوّلت تلك الديانات والعقائد إلى ديانات وثنية. وكونها ربانية فإن كل حقيقة من حقائقها تتفق مع فطرة الإنسان ولا تتناقض معها، كما أنها تتفق مع العقل كقوة واعية مدركة للحقائق، فالعقيدة تنظر إلى العقل كمحطٍ للخطاب، ومناطٍ للتكليف وأداة للكشف والتبصر والتدبر في الكون وما فيه من مخلوقات، وكونها ربانية فهي عقيدة بسيطة واضحة لا غموض فيها ولا تعقيد.

## 2- الثبات:

العقيدة الإسلامية ليست نظريات وضعها البشر، وإنما هي حقائق ثابتة كاملة وضعها الله تعالى، فهي لا نقص فيها ولا أخطاء، فلا تحتاج إلى إتمام أو تعديل أو تطوير أو تصويب. وثبات العقيدة يظهر في كل ركن من أركانها، وهذا الثبات لا يعني تجميد النشاط الإنساني، وإنما يعني الالتزام بمقاييس ثابتة يعرف بموجبها الحق من الباطل، والخير من الشر. وفي نطاق حقائق الإسلام الثابتة، يستطيع الإنسان أن يتحرك، ويرتقي، ويكتشف، ويطور من وسائل معيشتة. فمثلاً قواعد وأسس الحكم في الإسلام واسعة ثابتة لا تتغير على مدى الأزمان، إلا أن شكل الحكومة يتغير حسب مصلحة المسلمين والعصر الذي يعيشون فيه.

## 3- الشمول:

ونجد هذه الخاصية بارزة واضحة في الإسلام، فهو دين شامل كامل، لم يترك جانباً من جوانب الحياة الفردية والاجتماعية إلا وقد نظّمه تنظيمًا دقيقاً شاملاً لجميع نواحي الحياة؛ ولذلك فإن العقيدة الإسلامية . وهي أساس هذا الدين . عقيدة شاملة فيما تقوم عليه من أركان الإيمان وقواعده وما يتفرع عن ذلك، وشاملة في نظرتها للوجود كله، فهي تُعرِّفنا على الله تعالى، والكون والحياة



والإنسان معرفة صحيحة شاملة، مما جعلها منفردة عن كل العقائد والأيديولوجيات التي عرفتها البشرية.

#### 4- الواقعية:

العقيدة الإسلامية لا تعني الرضا بالواقع أياً كان وضعه، أو أنها تكيف مبادئها حتى تساير واقع الحياة بدون اعتبار أو حكمة، أو أنها تعتمد على الواقع الذي تدرکه الحواس وتترك ما لا تؤيده التجربة. وإنما تعني مراعاة العقيدة لظروف الإنسان وفطرته، وطبيعة تكوينه، وواقع حياته. وقد راعت العقيدة كل هذه الاعتبارات التي خلقها الله في حياة الإنسان، وكيفت أحكامها تبعاً لها، حتى لا تتعطل مسيرة الحياة أو تتهدد مصالح العباد.

فهي واقعية في جميع الأمور التي تدعو إليها، في العبادات والأخلاق والتشريع، أما العبادات فتتمثل في قلة التكاليف مراعية ظروف الإنسان وكثرة أعباء الحياة، ولذلك فقد كُلف الإنسان بعبادات لا تستغرق إلا جزءاً يسيراً من وقته، كالصلاة والصوم والحج وغيرها.

كما راعت العقيدة طبيعة النفس الإنسانية، فنوّعت العبادات المفروضة حتى لا تمل، ففرضت عليها عبادات بدنية كالصلاة والصيام، وأخرى مالية كالزكاة والصدقات، وثالثة جامعة بينهما كالحج والعمرة، حتى لا يسأم الإنسان من عبادة واحدة رتيبة لا تتغير.

كذلك فقد راعت العقيدة الإسلامية طبيعة الظروف الاستثنائية للإنسان مثل المرض والسفر التي تمنعه من أداء العبادة في صورة متكاملة فأجازت له قصر الصلاة وجمعها، والتيمم، والمسح على الجبيرة، والإفطار في رمضان وغيرها من الرخص.

ثم إن العقيدة الإسلامية واقعية في الأخلاق فيما دعت إليه من صفات النبل والخير فهي ليست فوق طاقة البشر، وإنما في مقدورهم، كالصبر على المكاره، والعفة عن الحرام، والصدق في القول، والوفاء في المعاملة... إلخ.

أما واقعيّتها في التشريع فتتمثل في اعترافها بالواقع البشري للإنسان على حقيقته، فهي لا تكبت الشهوة الإنسانية ما دام أنها في حدود؛ لأنها أمر طبيعي في حياة الناس، فأباح الزواج وملك اليمين، ونهت عن الرهينة في هذا الدين، وهذه الخاصية للعقيدة الإسلامية تميزها عن غيرها من المذاهب والأفكار المادية الأخرى.

## 5- التكامل:

وإذا كان الدين الإسلامي قد بلغ ذروة الكمال والشمول والواقعية، فإن العقيدة كذلك عقيدة تتميز بالتكامل والترابط، تتجمع فيها كل الأجزاء وتترابط ترابطاً دقيقاً لا يقبل التجزئة والانقسام، ولذلك فإن الأحكام فيها تؤخذ "كالصورة الواحدة بحسب ما ثبتت من كلياتها وجزئياتها المرتبة عليها، وعامها المرتب على خاصها، ومطلقها المحمول على مقيدها، ومجملها المفسر ببيئتها.. إلى ما سوى ذلك من مناحيها".

وللعقيدة الإسلامية صوراً شتى للتكامل، فأركان الإيمان كلها مترابطة ارتباطاً وثيقاً، يكمل كل منها الآخر ويرتبط به، بحيث لو حصل إخلال بواحد منها أو إنكار له، كان تأثيره على سائرهما واضحاً، بل إن هذه الأركان تتجمع حول الركن الرئيس وهو الإيمان بالله عز وجل، ومن هنا تأتي أركان الإيمان كلها في سياق واحد يحقق صفة الإيمان لصاحبها، وتأتي النصوص القرآنية كذلك لتؤكد على الارتباط بين الإيمان بالله، والإيمان بالملائكة، وتقرن الإيمان بالله مع الإيمان باليوم الآخر، وتجعل الإيمان بالرسول أمراً لا يتجزأ، فمن كفر بواحد منهم فقد كفر بهم جميعاً، بل قد كفر بالله تعالى، لأنهم جميعاً أرسلوا من عند الله تعالى برسالة واحدة، وقد قرر الله تعالى ذلك في كثير من آيات القرآن الكريم.

## 6- التوازن:

وبجانب هذا التكامل وذاك الشمول، نجد خاصية بارزة في العقيدة الإسلامية تتصل بأهم السمات العامة للإسلام وهي الوسطية والاعتدال، تلك هي خاصية التوازن بين الأمور المتقابلة، فقد أقامت العقيدة توازناً رائعاً بين مكونات النفس والكون والحياة، فقد وازنت بين المادة والروح، وبين الدين والدنيا، وبين الحياة الدنيا والحياة الآخرة، وبين المطالب الفردية والنزعات الاجتماعية، وبين ضرورات العمل وواجبات العبادة، وبين حب النفس وحب الآخرين والعمل لهم.

وقد ترتب على توازن العقيدة: خلوها من الخصام والتناحر الموجود في العقائد الأخرى التي وضعها البشر، ثم قبول الأفراد لها والتزامهم بها في الحياة.

وبهذه الخاصية -أيضاً- يتميز الإسلام عن سائر الأديان والمذاهب الأخرى، حيث تعنى بجانب على حساب الجوانب الأخرى، إما أن يكون ذلك ابتداءً، وإما أن يكون ردة فعل أو معالجة لخطأ سابق.

## • أثر العقيدة الإسلامية في حياة الفرد والمجتمع:

والعقيدة الإسلامية لها تأثير واضح في حياة الفرد وفي واقع المجتمع المسلم الذي يتبنّاها ويسير وفقها؛ فهي نورٌ يضيء الطريق للمسلم يوسّع مداركه وفكره، وينظم حياته.

### فمن آثار العقيدة الإسلامية في حياة الأفراد:

#### 1- إخلاص العبودية لله تعالى:

فهي تحرر الفرد المسلم من كلِّ ولاء لغير الله تعالى، وتعمل على إخلاص العبودية لله تعالى، ورفض أي انتماء لغير الله تعالى، والتمرد على أي نظام أو حكم غير نظام أو حكم الله عز وجل؛ وقد أكد على ذلك القرآن الكريم في سورة الفاتحة التي نرددها في كل يوم سبع عشرة مرة في صلاتنا، في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فهذا تأكيدٌ على عبودية الإنسان لربه، كما أنه تأكيد على تحرره من عبودية العباد، أو أي شيء سوى الله عز وجل.

#### 2- تحرير الإنسان من الأوهام والخرافات:

عندما يعتقد الإنسان بالعقيدة الإسلامية، فإنه يعتقد بأن المحي والمميت والنافع والضار هو الله تعالى، لذلك فهو لا يلجأ في جميع أحواله إلا إلى الله عز وجل يستعين به ويتوكل عليه، وعندما يعتقد المسلم بأن كل ما سوى الله مخلوق لله عز وجل وأنه مسيرٌ بقدر الله عز وجل، فإنه يتمتع عن الاستعانة واللجوء إلى غير الله عز وجل، بل يعتبر أن الاستعانة والتوكل واللجوء لغير الله عز وجل شركاً بالله. قال رسول الله ﷺ: (إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله). وإذا أيقن الإنسان المؤمن بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، اطمأن ولم يدخل في مناهات الخرافات والأوهام التي تشلّ التفكير وتجعل الإنسان كالمعتوه، لا يهدأ له بال ولا يقر له قرار، ويتعلق بالكهّان والدجالين، فيقع في المحذور، وقد اعتبر أن تصديق الكاهن أو العرّاف كُفر بواح، فقال رسول الله ﷺ: (من أتى عرافاً أو كاهناً فصدّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد). فليس هناك وهم أو خرافة أسوأ من اعتقاد الإنسان أن النفع والضرر يأتي من مخلوق مثله بل جمادٍ ونحوه أحياناً.

#### 3- تحرير الإنسان من الظلم والجشع والأنانية:

العقيدة الإسلامية تحرر الإنسان من الظلم وحب الذات، وتحثّه على حبّ العدل والإنصاف والحق والإحسان، كما تجعل الفرد المسلم يحب الخير للجميع كما يحبه لنفسه، فينشأ مجتمعٌ قائم على الحق والعدل والمساواة.

والإنسان بلا عقيدة ربانية كالحیوان المفترس، لا تقیده قیم ولا یضبط سلوکه ضابط، ویصح لا هم له إلا إشباع غوره ومیوله على حساب الآخرين، فیصبح الظلم والجشع والطمع والأناثیة طبیعته، وقانونه فی الحیاة، وبذلك یتكون مجتمع قائم على الظلم والأناثیة والجشع.. وهذا ما ترفضه العقیة الإسلامیة وتحاربه.

#### 4- تبني في الإنسان العزة والكرامة والحرية:

تجعل العقیة الإسلامیة الفرد عزیزاً شامخاً قویاً لا یخشی فی الله لومة لائم، ولا یخشی أن یقول كلمة الحق.. قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (المنافقون/8). فعندما یطمئن المؤمن على رزقه وأجله وعمله؛ فإن ذلك یبعده عن المذلة ویکسبه العزة والشجاعة.

هذه العقیة هی التي خرّجت نماذج عظیمة فی عزتها وقوتها، فانظر إلى الصحابي الجلیل خیب بن عدي الذي رفض أن یتكون رسولُ الله ﷺ مكانه فی الأسر، وحين أراد المشركون قتله رفع صوته قائلاً.

**ولستُ أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنبٍ كان في الله مصرعي**

والعقیة نفسها هی التي جعلت الإمام أحمد بن حنبل یتحدى حكام زمانه ویبصر على قوله بأن القرآن كلام الله غیرُ مخلوق، رغم التعذيب الذي أصابه، وهي التي أكسبت شيخ الإسلام ابن تیمیة العزة والكرامة والحرية والقوة التي جعلته یقول لسجانيه حين زجوا به فی سجن القلعة: "ماذا تصنعون بي إن قتلي شهادة، وإن سجنني خلوة، وإن نفيي سباحة".

#### 5- تكسب الإنسان روح الانضباط والمسؤولية والاستقامة:

فهی تكسب الإنسان إحساساً بالمسؤولية؛ لأنه مستخلف فی الأرض وصاحب رسالة، يجب أن یؤدیها، وهي توجد فیة شعوراً دائماً بمراقبة الله تعالى وخشيته، فتؤدي إلى ضبط سلوکه وفق أوامر الله عز وجل وتجعله یحارب شهواته، امتثالاً لأمر الله عز وجل بالترام الطريق القويم، فیکون الإنسان مستقیماً صاحب قیم وأخلاق رفیعة.

#### 6- تغرس في الإنسان روح التضحية والبذل والعطاء:

إن العقیة الإسلامیة تجعل الإنسان معطاءً یتخصص أعز ما یملك فی سبیل الله عز وجل، فیکدم النفس والمال والولد طائعاً لله تعالى، وقد ضرب لنا المجاهدون الأوائل أروع الأمثلة فی البذل

والعطاء والتضحية، فانظر إلى صحابة رسول الله ﷺ الذين تركوا كل شيء في مكة وهاجروا إلى المدينة فأرّين بدينهم، وما ذلك إلا أثراً طبيعياً رسخته العقيدة الإسلامية في نفوسهم. وانظر إلى قول خالد بن الوليد رضي الله عنه لملك الروم: "جنتك يقوم بحبوت الموت كما تحبون أنتم الحياة".

وانظر إلى قول الخنساء التي قالت عندما جاءها خبر استشهاد أولادها الأربعة: "الحمد لله الذي شرفني باستشهادهم جميعاً، وأرجو من الله أن يجمعني بهم في مستقر رحمته". إنها العقيدة الإسلامية التي تغرس في النفس روح التضحية والبذل.

### 7- تحقق السعادة والطمأنينة والأمن:

إن المؤمن يعيش قير العين، هادئ البال، مطمئن النفس، ولا يتذوق هذه السعادة والطمأنينة إلا المؤمن بعقيدة الإسلام، هذه السعادة يفقدها كثير من الناس، وهذا الذي دفع بعض علماء الإسلام لقوله: "إننا في سعادة لو علمها الملوك لجالدونا عليها بحد السيف". وقد روى الإمام مسلم بسنده عن رسول الله ﷺ قوله: (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن إصابته سرّاء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له) وهذا يجعله مطمئناً قير العين.

### • ومن آثار العقيدة الإسلامية في حياة المجتمع:

#### 1- العقيدة الإسلامية تبني مجتمعاً موحداً متماسكاً:

تختلف العقيدة الإسلامية في بنائها للمجتمعات عن غيرها من الأفكار والأنظمة، فهي تقيم المجتمع على أسس ربانية ثابتة، وليس على أسس مادية آنية كالقومية أو الإقليمية أو المصلحة أو غيرها من الروابط؛ لأن هذه الروابط لا تصلح أن تكون دعائم يجتمع عليها الناس. بخلاف العقيدة الإسلامية التي تقوم على التوحيد المطلق لله في كل شيء، فالرب واحد، والرسول واحد، والرسالة واحدة، والقبلة واحدة، والأهداف واحدة، فلا بد أن تكون معها الأمة واحدة، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء/92). إن توحيد الاعتقاد يؤدي إلى تجانس مشاعر الأفراد، وإذا كان هذا الاعتقاد متناسقاً مع الفطرة، ربانياً، فهذا يجعلهم قوة متماسكة متضافرة متكافلة، أما إذا كان الاعتقاد متعددًا، فإن المجتمع يتمزق ويتفرق أفراد، فتكون مشاعرهم متناحرة، وولاءاتهم متضاربة فيضعف حالهم وينهدم وجودهم.

## 2- العقيدة الإسلامية توجد مجتمعاً عالمياً:

العقيدة الإسلامية ليست مقتصرة على فئة من البشر أو على قطعة أرض، فهي رسالة عالمية، لا يحدها زمان ولا مكان، وهي لكل بني البشر مهما اختلفت أجناسهم وألوانهم ولغاتهم وديارهم، لذلك فقد استطاعت العقيدة الإسلامية أن تبني مجتمعاً عالمياً صهرت فيه أمماً شتى، جعلتهم يدينون إلى ربٍ واحدٍ، تحت قيادة واحدة، ودستور واحد. والعقيدة الإسلامية اليوم قادرةٌ على جمع أشتات العالم الضائع المتناحر الذي تتحكم فيه الشهوات والأفكار المدمرة، وفرقتة الحروب والمطامع.

## 3- العقيدة الإسلامية تنشئ مجتمعاً نظيفاً متعاوناً:

إن المجتمع الذي يقوم على العقيدة الإسلامية هو مجتمع نظيفٌ مستقيمٌ منظمٌ لا جريمة فيه ولا انحراف، لأن العقيدة الإسلامية تغرس في الفرد التقوى والعدل وفعل الخيرات، وتحث على الإحسان، وتنهى عن الإساءة والعدوان، وتحبب إلى قلوب البشر فعل الخير والطاعات، بالقول والعمل.

فالمجتمع الذي يقوم على العقيدة الإسلامية هو مجتمع لم يقم مثله مجتمع في هذه الدنيا، وحسبنا مثال على ذلك: المجتمع الذي كان في عهد الخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز الذي استطاع أن يعين لكل ضرير من يقوده من وإلى بيته ويعينه في أداء حاجته، وأن الصدقات التي جمعت فيه لم يجد واليها على شمال أفريقيا يحيى بن سعيد، فقيراً أو محتاجاً يمد يده ليأخذ منها، فيقرر الخليفة شراء الأرقاء ويطلقهم ويعيد لهم حريتهم، إن ما حصل في ذلك المجتمع المسلم لم يصل إليه أي مجتمع في هذه الدنيا اليوم رغم التقدم المادي والحضاري الذي يتكلمون عنه. فهي مجتمعات ينتشر فيها الكبت والحرمان والخوف والموت والانحلال النفسي والخُلقي، والتوتر العصبي، والشذوذ النفسي، إنها مجتمعات الجريمة المنظمة بكل ما تحمله من معنى.

## أركان الإسلام:

وهي خمسة أسس يُبنى عليها هذا الدين، وقد ذكرها رسول الله ﷺ في قوله: ( بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، والحج )

1- أما شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله فهي: الاعتقاد الجازم المعبر عنه باللسان بهذه الشهادة، كأنه مشاهد له، وقد جعلت هذه الشهادة ركناً واحداً مع تعدد المشهود به:

إما لأن الرسول ﷺ مبلغ عن ربه عز وجل، فالشهادة له بالعبودية والرسالة من تمام شهادة أن لا إله إلا الله.

وإما لأن هاتين الشهادتين أساس صحة الأعمال وقبولها، إذ لا صحة لعمل، ولا قبول إلا بالإخلاص لله تعالى، والمتابعة لرسوله ﷺ، فبالإخلاص لله تتحقق شهادة ألا إله إلا الله، وبالمتابعة لرسول الله تتحقق شهادة أن محمداً عبده ورسوله.

ومن ثمرات هذه الشهادة: تحرير القلب والنفس من الرق والعبودية للمخلوقين، والإتباع لغير المرسلين.

2- وأما إقام الصلاة: فهو التعبد لله تعالى بفعلها على وجه الاستقامة والتمام في أوقاتها وهيئاتها. ومن ثمراتها: انشراح الصدر، وقرّة العين، وراحة البال، والبعد عن الفحشاء والمنكر.

3- وأما عن إيتاء الزكاة: فهو التعبد لله تعالى ببذل القدر الواجب في الأموال المستحقة للزكاة. ومن ثمراتها: تطهير النفس من البخل والشح، وسد حاجة المسلمين، والتعاون على البر والتقوى.

4- وأما صوم رمضان: فهو التعبد لله تعالى بالإمساك عن المفطرات نهار رمضان. ومن ثمراته: ترويض النفس على ترك المحبوبات طلباً لمرضاة الله عز وجل، وحب الوحدة والتماسك في المجتمع المسلم، والشعور بحاجة المحتاجين من المسلمين.

5- وأما حج البيت: فهو التعبد لله تعالى بقصد البيت الحرام للقيام بشعائر الحج. ومن ثمراته: ترويض النفس على بذل المجهود المالي والبدني طاعةً لله تعالى ولهذا كان الحج نوعاً من الجهاد في سبيل الله تعالى.

وهذه الثمرات وغيرها تجعل من الأمة، أمة إسلامية طاهرة نقية تدين لله دين الحق، وتعامل الخلق بالعدل والصدق والأمانة؛ لأن ما سواها من شرائع الإسلام يصلح بصلاح هذه الأسس، وتصلح

أحوال الأمة بصلاح أمر دينها، وبفوتها من صلاح أحوالها بقدر ما فاتها من صلاح أمور دينها. وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد/11).

### أركان الإيمان:

وهي الأسس التي يقوم عليها، وأسس العقيدة الإسلامية، وهي ستة أركان: الإيمان بالله تعالى، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

وقد دلّ القرآن الكريم والسنة النبوية عليها.

فمن أدلة القرآن؛ قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ..﴾ (البقرة/177).

وقوله تعالى في القدر: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ. وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلِمَةٍ بِالْبَصَرِ﴾ (القمر/49-50).

وقول تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ، وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (البقرة/285).

وبدل على كفر من أنكرها أو أنكر واحداً منها، قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ، وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ، وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (النساء/136).

ومن السنة حديث جبريل المشهور، حين جاء إلى النبي ﷺ في صورة أعرابي يسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان، قال ﷺ: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره).

فهذه الأمور الستة هي أركان الإيمان، التي لا يتم إيمان أحد إلا بها جميعاً على الوجه الذي يريده الله تعالى وفق كتابه وسنة نبيه ﷺ، وستحدث إن شاء الله تعالى عن كل ركن منها:

### أولاً: الإيمان بالله تعالى:

وهو الإيمان بوجود الله عز وجل، وأنه تعالى رب كل شيء ومليكه وخالقه، وأنه وحده المستحق أن يفرد بجميع أنواع العبادة، وهو المتصف بصفات الكمال، والمسمى بأسماء الجلال، المنزه عن كل نقص وعيب.

ومن هنا فإن الإيمان بالله عز وجل يتضمن أربعة أمور، وهي:



الإيمان بوجود الله تعالى، إلى جانب أنواع التوحيد الثلاثة:  
توحيد الله في ربييته، وتوحيده في ألوهيته، وتوحيده في أسمائه وصفاته، فهذه أمور أربعة لا بدّ  
منها حتى يكون الإنسان مؤمناً بالله تعالى.

### **الأول: الإيمان بوجود الله عز وجل:**

وقد دلّ على وجود الله تعالى عدة أمور وهي: الفطرة، والعقل، والشرع، والحس.

#### **1- الفطرة:**

الفطرة شعور ذاتي كامن في النفس الإنسانية لا يفارقها، يحس الإنسان فيه بنقص ذاته، ووجود ذات كاملة، هو بحاجة إليها، ألا وهي الله سبحانه وتعالى؛ فإن كل مخلوق قد فُطر على الإيمان بالله تعالى من غير سبق تفكير أو تعليم، ولا يبتعد عن مقتضى هذه الفطرة إلا من طرأ على قلبه ما يبعده عنها، لقول النبي ﷺ: (ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه).

ولقد تحدث القرآن الكريم عن دليل الفطرة فقال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ (الروم/30).

وهذا الشعور موجودٌ عند كل الناس المؤمن والكافر منهم، ويظهر في الأخطار والشدائد التي تمر بالإنسان، فيفقد فيها كل أسباب النجاة المادية، فإذا هو متعلق بالخالق جل وعلا يستعين به ويلجأ إليه.

ولقد قص لنا القرآن حال المشركين الغافلين عن الله بملذاتهم، فإذا ما تعرضوا إلى الخطر عادوا إلى الله تعالى ودعوه مخلصين إخلاصاً مؤقتاً يذهب بذهاب الخطر، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَّتْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ، وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ (يونس/22،23).

#### **2- العقل:**

إن العقل قادر على أن يدرك وجود الخالق دون عناء؛ فإن هذه المخلوقات التي نراها في هذا الكون الفسيح لا بد لها من خالق أوجدها، فهي لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها، ولا يمكن أن توجد صدفة..

لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها لأن الشيء لا يخلق نفسه، فهو قبل وجوده معدوم، فكيف يكون خالفاً؟!.

ولا يمكن أن توجد صدفة لأن كل حادث لا بد له من مُحدث، ولأن وجودها على هذا النحو، والنظام البديع، والتناسق المتألف والارتباط الوثيق بين الأسباب ومسبباتها، وبين الكائنات بعضها مع بعض يمنع أن يكون وجودها صدفة، إذ الموجود صدفة ليس على نظام في أصل وجوده، فكيف يكون منتظماً حال بقائه وتطوره؟!.

وإذا لم يكن لهذه المخلوقات أن توجد نفسها بنفسها، ولا أن تُوجد صدفة تعين أن يكون لها موجد وهو الله رب العالمين.

وقد ذكر القرآن الكريم هذا الدليل العقلي والبرهان القطعي، قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ يعني: إذا لم يُخلقوا من غير خالق، وليس هم الذين خلقوا أنفسهم، تعين أن يكون خالقهم هو الله تبارك وتعالى.

ثم قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ، أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رِزْقِ أَمْ هُمُ الْمُصَيِّرُونَ﴾ (الطور/35-37).

### 3- دلالة الشرع على وجود الله:

إن الكتب السماوية كلها تتطرق بوجود الله عز وجل، كما أن الأحكام التي جاءت بها والمتضمنة لمصالح العباد لدليل على أنها من رب حكيم عالم بما ينفع خلقه وما يضرهم، كما أن الأخبار الكونية الواردة بها قد شهد الواقع بصدقها لدليل على أنها من رب عظيم قادر على إيجاد ما أخبر به سبحانه.

### 4- دلالة الحس على وجود الله:

ودلالة الحس على وجود الله تعالى من وجهين:

**أحدهما:** أننا نسمع ونشاهد من إجابة الداعين، وغوث المكروبين، ما يدل دلالة قاطعة على وجود الخالق، قال تعالى: ﴿وَنُوحاً إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ (الأنبياء/76)، وقال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ (الأنفال/9). وقد روى البخاري عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: (إن أعرابياً دخل يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب، فقال: يا رسول الله، هلك المال، وجاع العيال، فادع الله لنا، فرفع يديه ودعا فثار السحاب أمثال الجبال، فلم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته، وفي الجمعة الثانية قام ذلك الأعرابي أو غيره فقال: يا رسول الله، تهدم البناء، وغرق المال، فادع الله لنا، فرفع يديه وقال: اللهم حوالينا ولا علينا، فما يشير إلى ناحية إلا انفرجت).

وما زالت إجابة الداعين أمراً مشهوداً إلى يومنا هذا لمن صدق اللجوء إلى الله تعالى  
وأتى بشرائط الإجابة .

**ثانيهما:** أن معجزات الأنبياء التي يشاهدها الناس، أو يسمعون بها، برهان قاطع على وجود الله تعالى الذي أرسل المرسلين وأيدهم بها، لأنها أمور خارقة يجريها الله تعالى تأييداً ونصرةً لرسله. فمنها: معجزة موسى عليه السلام حين أمره الله تعالى أن يضرب بعصاه البحر، فأصبح طريقاً ممهداً يابساً، والماء وقف كالجبال العظيمة، قال تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَأَنْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ (الشعراء/63).

ومنها: معجزة عيسى عليه السلام حيث كان يحيي الموتى، ويخرجهم من قبورهم بإذن الله، قال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ الْمُوتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (آل عمران/49) وقال تعالى: ﴿وَأُذِ تَخْرُجُ الْمُوتَىٰ بِإِذْنِي﴾ (المائدة/110). ومنها: معجزات النبي محمد ﷺ الكثيرة التي رآها الناس بأعينهم، وعلى رأسها معجزته الخالدة القرآن الكريم، فهي آيات محسوسة تدل دلالة قطعية على وجود الحق تبارك وتعالى.

### **الثاني: الإيمان بربوبيته تعالى (توحيد الربوبية):**

الرب في اللغة باللام لا يطلق لغير الله عز وجل، وقد يُخفف. والاسم الربابة بالكسر وتعني المملكة، والربوبية بالضم، وربُّ كل شيء مالكة ومستحقه، أو صاحبه، وقد قالوه في الجاهلية للملك.

والرباني: المتأله العارف بالله تعالى. ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ (آل عمران/79).

وربوبية الله على خلقه تعنى تفرده سبحانه في خلقه وملكهم وتدبير شؤونهم. ومن هنا كان معنى توحيد الربوبية: الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى وحده ربُّ كل شيء ومالكة، وخالقه، فهو خالق العباد ورازقهم، ومحبيهم ومميتهم، وأنه سبحانه النافع الضار، المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار، وله الأمر كله، وبيده الخير، وهو على كل شيء قدير، ليس له في ذلك شريك، ويدخل في هذا الاعتقاد أيضاً: الإيمان بالقدر.

وهذا النوع من أنواع التوحيد يعتبر أساساً لأنواعه الأخرى، كما أنه يستلزم توحيد الألوهية، فهو وحده لا يُدخل صاحبه في الإسلام، لذلك فإن رسول الله ﷺ قاتل المشركين مع أنهم كانوا يُقرّون بأن الله سبحانه وحده - هو الخالق الرازق، المحيي المميت، المتصرف بالأمر كله.

قال تعالى إخباراً عن المشركين: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (الزخرف/87)، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (يونس/31)، فالمشركون ينسبون الخلق والإحياء والإماتة، وتدبير الأمر كله من رزق وإنزال للمطر، وغيره لله عز وجل، ومع ذلك فقد حكم الله تعالى عليهم بالشرك، فقال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ (يوسف/106).

وقد وصفهم الله تعالى بالشرك لأنهم لم يوحّدوه سبحانه في عبادتهم، وقصّروا في فهمهم لله تعالى وصفاته وأفعاله، وانحرفوا عن الحق فعبدوا الأصنام، ومع ذلك فقد كانوا يقولون بأن عبادتهم لهذه الأصنام إنما هي لتقربهم إلى الله، كما حكى ذلك عنهم القرآن، قال تعالى: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ (الزمر/3).

ومن هنا فإنه ليس كل من أقر بأن الله عز وجل ربُّ كل شيء يكون موحداً له في ألوهيته وصفاته وأسمائه، فأكثر العباد لا ينكرون الخالق، وربوبيته على الخلق، ولكن معظم كفرهم من عبادتهم غير الله عز وجل.

ولا أعتقد أن هناك عاقلاً يوقن في قرارة نفسه بأن هناك خالقاً أو مدبراً لهذا الكون غير الله عز وجل، أو أن هذا الكون لم يخلقه الله سبحانه؛ فإن الوحدة والتناسق في نظام هذا الكون دليل على وجود الله ووحدانيته كما تقدم.

فالإنسان مفطورٌ على معرفة الله عز وجل وعبادته وحده، وقد أخذ الله على الخلق العهد والميثاق مذ كانوا في ظهر آدم عليه السلام، ولكن أبى أكثر الناس إلا كفوراً.. قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ. أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ، وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الأعراف/173، 172).

وقد أخرج البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: أرايت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكننت مقتدياً به؟ قال، فيقول: نعم، فيقول: قد أردت منك أهون من ذلك، قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا أن تشرك بي).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (أخذ الله تعالى الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان يوم عرفه، فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها فنثرهم بين يديه ثم كلمهم قبلاً، قال تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن قَوْلِهِ - إِلَى قَوْلِهِ - الْمُبْطِلُونَ﴾.

### **الثالث: الإيمان بألوهيته تعالى (توحيد الألوهية):**

الألوهية في اللغة بمعنى العبودية؛ لأنها مأخوذة من الإله على فعال بمعنى مفعول، لأنه مألوه أي معبود.

والعبودية في اللغة هي الطاعة والانقياد والتذلل والخضوع، وقد عرفها بعض العلماء بأنها كمال الحب مع كمال الخضوع.

ولذلك فإن معنى توحيد الألوهية في الاصطلاح: الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى هو الإله الحق، ولا إله غيره، وإفراده تعالى بالعبادة.

أي: أن يُعبد الله سبحانه وحده، ولا يُشرك بعبادته أحد من خلقه؛ لأنه وحده المستحق لأن يعبد، وهو مبنيٌّ على إخلاص العمل كله والتوجه به لله سبحانه وحده دون سواه، سواء كان هذا العمل من أعمال القلوب أو من أعمال الجوارح، فإن الإله هو الذي تألَّه القلوب: محبة، وإناابة، وإجلالاً، وإكراماً وتعظيماً وذللاً، وخضوعاً، وخوفاً، ورجاءً، وتوكلاً.

ويُطلق على توحيد الألوهية توحيد العبودية، وتوحيد الإرادة، وتوحيد القصد، وتوحيد العمل، كما يطلق عليه أيضاً: توحيد الله بأفعال المكلفين.

ولا بد أن نلاحظ أن توحيد الألوهية يتضمن جميع أنواع التوحيد، فيتضمن توحيد الربوبية، والأسماء والصفات، وليس العكس؛ فإن توحيد الإنسان لله تعالى في ربوبيته لا يعني أنه يوحد في ألوهيته، فقد يُقر العبد بالربوبية، ولا يعبد الله تعالى، وكذلك توحيد الله في أسمائه وصفاته، فإنه لا يتضمن أنواع التوحيد الأخرى.

### **أهمية هذا التوحيد:**

إن توحيد الألوهية هو أهم أنواع التوحيد جميعاً فهو رأس الأمر الفارق بين الموحدين والمشركين، وهو أول الدين وآخره، وباطنه وظاهره، وهو الذي من أجله خلق الله عز وجل الخلق، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات/56). لذلك كان أول دعوة الرسل عليهم السلام، فجميع رسل الله جاؤوا إلى أممهم بالدعوة إلى هذا التوحيد.

ومن أجل هذا التوحيد أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، فما جاء رسولٌ من الرسل إلى قومه إلا كان هذا التوحيد أساس دعوته وجوهرها، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (النحل/36).

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء/25)، وقال تعالى مخبراً عن نوح عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْبَيْعِ﴾ (هود/26-25) وقال عن هود عليه السلام: ﴿وَالَّذِي عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (الأعراف/65). وهكذا فقد تكررت هذه الدعوة على لسان صالح وشعيب عليهما السلام، والأنبياء جميعاً، فكانت قاعدة عامة في دعوة كل الرسل. ثم أمر الله تعالى بها نبينا محمداً ﷺ، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الزمر/12-11)، وقال تعالى: ﴿قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ (الزمر/14).

ومن هنا كانت شهادة أن (لا إله إلا الله) أول ما يطلب من الإنسان للدخول في هذا الدين؛ لأن معناها: لا معبود بحق إلا الله تعالى، وهذا هو توحيد الألوهية، فالشهادة تعني توحيد الألوهية، وتوحيد الألوهية متضمنٌ لجميع أنواع التوحيد الأخرى.

وقد روي أن النبي ﷺ عندما بعث معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن قال له: (إنك تأتي قوماً أهل كتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله) وفي رواية: (أن يوحدوا الله). وفي الحديث أيضاً: قال رسول الله ﷺ: (بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت).

والنصوص الواردة في فضل الشهادة كثيرة جداً، ويكفي لبيان فضلها إخبار النبي ﷺ أنها أعلى مراتب الإيمان، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (الإيمان بضع وسبعون - أو بضع وستون - شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق). وهذا يدلنا على فضل توحيد الألوهية وعظمة مكانته، ومما يدل أيضاً على أهمية هذا التوحيد هو أمر الله تعالى رسوله بقتال من تولى عنه وأبى، حتى يكون الدين خالصاً لله تعالى، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ (التوبة/73)، وقال تعالى: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفُرَ بِأَسِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ (النساء/84)، وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أُنتَهُوا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة/193).

وغير ذلك من الآيات في "البقرة" و"آل عمران" و"النساء" و"الأنفال" و"التوبة" ، و"القتال" ، و"الحديد" ، و"الصف" وغيرها .

وقال رسول الله ﷺ : (أمرتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله عز وجل) .

#### الرابع: الإيمان بأسمائه تعالى وصفاته (توحيد الأسماء والصفات):

هو إفراد الله سبحانه بما سمي به نفسه ووصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ ، ونفى ما نفاه عن نفسه، وذلك بإثبات ما أثبتته لنفسه من الأسماء والصفات الواردة في الكتاب والسنة، من غير تحريف ألفاظها أو معانيها، ولا تعطيلها بنفيها أو نفي بعضها، ولا تكييفها بتحديد كنهها، وإثبات كيفية معينة لها، ولا تشبيهها بصفات المخلوقين، ونفي أي صفة من صفات النقص التي نفاها الله تعالى عن نفسه.

وعلى هذا فما ورد إثباته في الكتاب والسنة من أسماء الجلال وصفات الكمال وجب إثباته، وما ورد نفيه فيها وجب نفيه مع إثبات كمال ضده.

وما لم يرد إثباته ولا نفيه فيهما وجب التوقف في لفظه، فلا يُثبت ولا يُنفي لعدم ورود الإثبات والنفي فيه.

وأما معناه فيُفصّل فيه، فإن أُريد به حق يليق بالله تعالى فهو مقبول، وإن أُريد به باطل لا يليق بالله عز وجل وجب رده .

وقد أعلمنا الله تعالى بكل ما يجب أن نعلم من أسمائه وصفاته في الكتاب والسنة، ولم يكلفنا سبحانه معرفة شيء من أسمائه الحسنی وصفاته العظمى لم يرد في الكتاب والسنة، فمن رجع في شيء من ذلك إلى قضية عقلٍ أو استحسان برأيٍ أو إلهامٍ أو كشفٍ أو غير ذلك، فقد قال على الله تعالى بغير علم.

#### • الأمور التي تقدر في توحيد الأسماء والصفات:

هناك أمور يجب أن لا يقع فيها المسلم حتى يكون إيمانه خالصاً وصحيحاً؛ لأن هذه الأمور تعتبر قاذحة في توحيد الأسماء والصفات، وهي:

## 1- التشبيه:

ومعناه تشبيه صفات الخالق بصفات المخلوقين، وقد وقع أهل الكتاب في هذا الأمر، فقد شبه النصارى المسيح ابن مريم بالله عز وجل، كما شبه اليهود عزيزاً بالله سبحانه. وكتشبيه بعض الطوائف والفرق الضالة وجه الله بوجه المخلوق، ويد الله بيد المخلوق، وسمع الله بسمع المخلوق، ونحو ذلك، وهذا النوع هو الذي أرسلت الرسل وأنزلت الكتب في النهي عنه، وهو محبط لجميع الأعمال .

## 2- التحريف:

وهو تحريف الألفاظ، أو تغييرها، أو تبديلها، كتحريف ألفاظ الأسماء والصفات بزيادة أو نقصان، أو تغيير الحركات الإعرابية، أو تحريف معناها، وهو أيضاً التأويل الفاسد أي: حمل اللفظ على معنى فاسد لم يعهد به استعمال في اللغة، كتحريف بعضهم لقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ بنصب لفظ الجلالة ابتغاء نفي صفة الكلام عنه عز وجل.

## 3- التعطيل:

وهو نفي الصفات الإلهية، وإنكار قيامها بذات الله عز وجل، كتعطيل الله عز وجل عن كماله المقدس، وذلك بجحد أسمائه وصفاته، وكتعطيل المصنوع عن صانعه، كمن قال بقدم المخلوقات، وجدد أن الله تعالى خالقها .

## 4- التكييف: وهو تعيين كيفية الصفات، وإثبات كنهها.

وهذا المنهج في أخذ الصفات والأسماء المذكورة في القرآن والسنة، بإثباتها دون تشبيه أو تحريف أو تعطيل أو تكييف هو مذهب السلف من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم . يقول الإمام الشوكاني: "إن مذهب السلف من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وتابعيهم هو إيراد أدلة الصفات على ظاهرها من دون تحريف لها ولا تأويل متعسف لشيء منها ولا تشبيه، ولا تعطيل يفضي إليه كثير من التأويل، وكانوا إذا سأل سائل عن شيء من الصفات تلووا عليه الدليل، وأمسكوا عن القول والقييل، وقالوا: قال الله هكذا ولا ندري بما سوى ذلك، ولا نتكلف ولا نتكلم بما لم نعلمه، ولا أذن الله لنا بمجاوزته.



## • أسماء الله تعالى:

أسماء الله عز وجل هي أعلام عليه سبحانه وتعالى، أخبرنا بها في كتابه، كما أخبرنا بها الرسول ﷺ في سنته، فهي توقيفية لا مجال للعقل فيها، وعليه فيجب الوقوف فيها على ما جاءت في الكتاب والسنة فلا يزداد فيها ولا ينقص؛ لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه الله تعالى من الأسماء فوجب الوقوف في ذلك على النص لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء/36).

ولأن تسميته تعالى بما لم يسم به نفسه أو إنكار ما سمي به نفسه جناية في حقه تعالى، فوجب سلوك الأدب في ذلك والاختصار على ما جاء به النص .

واعلم أن كل اسم من أسماء الله تعالى يدل على صفة أو صفات من صفاته تعالى، وكل اسم منها مشتق من مصدره، كالعليم، والقدير، والسميع، والبصير ونحوها، فالعليم مشتق من العلم، والقدير من القدرة، وكذلك بقية الأسماء.

والاسم الجامع لمعاني الأسماء كلها والصفات كلها هو "الله"، وقد اختلف العلماء في اشتقاقه، فقال جماعة: أصله "الإله" فحذفت الهمزة، وأدغمت اللام في اللام فصارتاً لاماً واحدة مشددة مضخمة. ورجح هذا ابن القيم وسيبويه والطبري، وذهب بعضهم إلى أنه ليس بمشتق. وقال الطبري: "الله: ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين".

واسم "الله" دال على كونه مألوماً معبوداً، تأله الخلائق محبةً وتعظيماً، خضوعاً وفرحاً إليه في الحوائج والنوائب، وذلك مستلزم لكمال ربوبيته ورحمته، المتضمنين لكمال الملك والحمد. ولا تنافي بين كون أسماء الله تعالى نعوتاً له عز وجل وأعلاماً عليه، فالرحمن اسمه تعالى ووصفه، وكل أسماء الله تدل على معانيها، وجميعها أوصاف مدح .

وقد ذكر العلماء أن قول النبي ﷺ (تسعة وتسعين اسماً) لا يفيد حصرها في هذا العدد؛ وإنما المعنى في هذا الحديث أن الله هذه الأسماء المذكورة من أحصاها دخل الجنة، وليس فيه ما يدل على نفي غيرها عن الله عز وجل، فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء، وإلا لكانت العبارة: "إن أسماء الله تسعة وتسعون اسماً من أحصاها دخل الجنة" أو نحو ذلك .

ويؤكد ذلك: الحديث المشهور عن رسول الله ﷺ الذي أكد فيه أن هناك أسماء استأثر الله بها في علم الغيب عنده.

قال رسول الله ﷺ: (ما أصاب مسلماً قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك، وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك، عدلٌ فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علّمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي وجلاء حزني، وذهب همي وغمي، إلا أذهب الله عنه همه وأبدله مكان همه فرجاً، قالوا: يارسول الله ألا نتعلم هذه الكلمات؟ قال: بلى، ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن).

## ثانياً: الإيمان بالملائكة

### • معنى الملائكة لغة:

جمع مَلَك بفتح اللام، قيل مخفف من مالك، وقيل: مشتق من الألوكة، وهي الرسالة، وهذا قول سيبويه والجمهور، وأصله: لأك. وقيل: المَلَك: بفتح الميم وسكون اللام، وهو الأخذ بقوة، وأصل وزنه "مفعل" فتركت الهمزة لكثرة الاستعمال، وظهرت في الجمع.

### • معنى الملائكة اصطلاحاً:

قال جمهور أهل الكلام من المسلمين: الملائكة أجسامٌ لطيفة أعطيت قدرة التشكيل بأشكال مختلفة، ومسكنها السموات. والإيمان بالملائكة هو الاعتقاد الجازم بوجود الملائكة، وأنهم خلقٌ لله تعالى، خلقهم من نور، وهم لا يعصون الله تعالى ما أمرهم، وأنهم قائمون بوظائفهم التي كلفهم الله بها خير قيام. فلا يصح إيمان عبدٍ حتى يؤمن بوجودهم وبما ورد في حقهم من صفات وأعمال، في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

فأما وجودهم، فقد دلَّ عليه القرآن والسنة، فقد ذكر القرآن الكريم أن من البر ومن دلائل الصدق والنقوى الإيمان بالملائكة.. قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ﴾ (البقرة/177).

وقال تعالى: ﴿أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ (البقرة/285).

وأما الوارد في ذلك عن رسول الله ﷺ: فقوله ﷺ لجبريل في الحديث المشهور عن عمر بن الخطاب عندما سأله جبريل عن الإيمان: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره).

وفي القرآن والسنة نصوص كثيرة أخرى تخبر بصريح العبارة عن وجود الملائكة، وعن صفاتهم وأعمالهم وحقيقتهم.

وهذا يؤكد أن وجودهم قطعي لا يلحقه شك أو ريب، لذلك فإن إنكار وجودهم كفرٌ بإجماع المسلمين، بل بنص قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (النساء/126).

على أن الإيمان بنبوّة محمد ﷺ ونزول القرآن عليه يستلزم الإيمان بالملائكة، فإنكار وجودهم إنكار للنبوّة وللقرآن معاً.

### • صفات الملائكة الخلقية :

• الملائكة عالم لطيف غيبي غير محسوس، ليس لهم وجود جسماني يدرك بالحواس وهم من عوالم ما وراء الطبيعة غير المنظورة التي لا يعلم حقيقتها إلا الله تعالى.

• وهم مطهرون من الشهوات الحيوانية، ومبرأون من الميول النفسية، ومنزهون عن الآثام والخطايا.

• وهم ليسوا كالبشر يأكلون ويشربون وينامون، ويتصفون بالذكورة أو الأنوثة، وإنما هم عالم آخر، قائم بنفسه، ومستقل بذاته، لا يتصفون بشيء مما يتصف به البشر من الحالات المادية، ولهم القدرة على التمثّل بصور بشرية، وغيرها من الصور الحسية الحسنة، فقد جاء جبريل إلى مريم العذراء متمثلاً لها في صورة بشرية:

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا. فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ (مريم/16-17).

• ودخلت جماعة منهم على إبراهيم عليه السلام في صورة آدميين يحملون إليه البشرى وظنهم ضيوفاً فعجل إليهم بالطعام.

قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ. إِذِ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ فَرَأَى إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحَفْ وَبَشِّرْهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ..﴾ (الذاريات/24-28).

• والملائكة خلقهم الله من نور، كما خلق آدم من طين، والجان من نار. روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم).

• أما مسكنهم ففي السماء، وينزلون منها بأمر الله. روى البخاري وأحمد عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال لجبريل: ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟ قال فنزلت: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ (مريم/64).

• والملائكة خلقوا قبل خلق الإنسان، فقد أخبرهم الله بأنه سيخلقه ويجعله خليفة في الأرض .. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة/30).

• والملائكة لهم أجنحة يتفاوتون في أعدادها. قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ، يُزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ..﴾ (فاطر/1).

وقد أخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ (رأى جبريل عليه السلام له ستمائة جناح) .

وهذا يدل على تفاوت الملائكة في الخلق كما يتفاوتون في الأقدار تفاوتاً لا يعلمه إلا الله تعالى، وكثرة الأجنحة دليل القدرة على السرعة في تنفيذ أوامر الله وتبليغ رسالته.. قال تعالى: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ. وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ. وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ (الصفات/164-166).

أي: نقف صفوفاً في الطاعة، فنصطف ونسبح الله ونحمده ونقدسُه وننزهه عن النقائص. قال ابن كثير: "وما من ملك إلا له موضع مخصوص في السماوات ومقام العبادات لا يتجاوزه ولا يتعداه" .

فهذا كل ما أبلغنا الله تعالى عن حقيقة الملائكة ومقاماتهم وأصنافهم فنؤمن به ونتوقف عند هذا الحد لأنها من الأمور الغيبية.

#### • عدد الملائكة:

لا يستطيع حصر عدد الملائكة إلا الله تعالى فهم كثير.. قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ (المدثر/31).

"وأخرج ابن جرير من طريق خالد بن عرعة أن رجلاً قال لعلي رضي الله عنه ما البيت المعمور؟ قال: بيت في السماء يقال له الضراح، وهو بحيال الكعبة من فوقها، حرمة في السماء كحرمة البيت في الأرض، يصلي فيه كل يوم سبعون ألف من الملائكة ولا يعودون فيه أبداً".

وأخرج الترمذي وابن ماجه من حديث أبي زر مرفوعاً: "أُطِّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَنْطَبَّ مَا فِيهَا مَوْضِعَ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ".

## • أثر الإيمان بالملائكة في حياة المسلم:

- مما تقدم يتبين لنا أن الإيمان بالملائكة له آثارٌ عظيمة في حياة المسلم منها:
- 1- إن المؤمن الذي يرى إنعام الله عليه بخلق الملائكة، ويستشعر بقلبه وجودهم، ويؤمن برقابتهم على أعماله وأقواله، ويعرف أنهم يشهدون عليه في كل أعماله، ليجد في قلبه دوافع تدفعه إلى الاستقامة على طاعة الله تعالى، والمبادرة إلى طلب مرضاته على كل حال.
  - 2- إن المؤمن يجد في نفسه خجلاً وتمنعاً عن معصية الله تعالى لما يرى من حضور الملائكة معه وعلمهم بأعماله وكتابة ذلك في صحيفة يقرأها يوم القيامة.
  - 3- وإن المؤمن يجد في قلبه اطمئناناً، وزيادةً في إيمانه بالله تعالى لما يبدو له من أشياء تدل على عظمة الله من خلق الملائكة وكثرة عددهم وتنوع أعمالهم.
  - 4- وإنه لينشط إلى العبادة والطاعة لما يرى أن الملائكة ذوي القوة والعظمة يعبدون الله ويسبحونه بالليل والنهار لا يفترون.
  - 5- إن الإيمان بالملائكة يزيد من محبة المؤمن للملائكة الكرام البررة، ومعرفة فضلهم ومكانهم عند الله تعالى.
  - 6- الصبر والثبات على الحق والشجاعة ومواصلة الجهاد لما يعرف المؤمن أن الملائكة تثبته وتقف بجانبه في الحق، فإنه يشعر بالطمأنينة في أصعب الظروف ولا ييأس.
  - 7- وإن الله تعالى قد جنَّب المؤمن من الوقوع في الأوهام والخرافات بما أطلعه على الملائكة وأعمالهم، فإن من لا يؤمن بالغيب قد وقع فريسة للأوهام والخرافات.
  - 8- تشجيع المؤمن على طلب العلم والاستزادة فيه وهذا ما يفتح للإنسان آفاق المستقبل، لما يعلم أن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم، وأنها تحفه وتنزل السكينة على قلبه.

### ثالثاً: الإيمان بالأنبياء والمرسلين:

معنى الإيمان بالأنبياء والمرسلين:

الإيمان بالأنبياء والمرسلين ركنٌ ثالثٌ من أركان الإيمان لا يتم الإيمان إلا به، وقد أوجب الله تعالى على المسلم أن يؤمن بجميع أنبيائه ورسله دون تفریق بينهم، كما أوجب أيضاً الإيمان بمن سمى منهم في القرآن الكريم وقصّه علينا ومن لم يسمّه، ولا يجوز الإيمان ببعضهم والكفر بالبعض الآخر. قال تعالى: ﴿عَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ..﴾ (البقرة/285).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ (غافر/78).

أما الذين قصهم الله علينا فعددهم خمسة وعشرون نبياً مرسلًا، فهؤلاء يجب الاعتقاد بنبوتهم تفصيلاً وهم: آدم، إدريس، نوح، هود، صالح، إبراهيم، لوط، إسماعيل، اسحاق، يعقوب، يوسف، شعيب، أيوب، ذو الكفل، موسى، هارون، سليمان، داوود، إلياس، إيليسع، يونس، زكريا، يحيى، عيسى، محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام.

قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ. وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام 83-86).

فهذه الآيات قد جمعت ثمانية عشر رسولاً، يجب الإيمان بهم وبسبعة آخرين المذكورين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَعَاقِلَ إِبْرَاهِيمَ وَعَاقِلَ عِزْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (ال عمران/33).

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ (الأعراف/65)، وقوله تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ (هود/61)، وقوله تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ (هود/84)، وقوله تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنبياء/85)، وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (الأحزاب/40).

وهناك أنبياء آخرون لم يتعرض القرآن لذكرهم تفصيلاً ولم يقص علينا شيئاً من أخبارهم ولكن أخبرنا عنهم بالجملة.

قيل إن عدد الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألفاً، فيجب الإيمان بهم أيضاً إجمالاً، أي أن نوقن بأن الله تعالى أرسل رسلاً وأنبياءً كثيرين إلى كل أمة وجماعة، وفي مختلف العصور والأمكنة.

### النبي والرسول والفرق بينهما:

النبوة: مأخوذة من النبأ بمعنى الخبر، وقيل: من النبوة، وهو ما ارتفع من الأرض، يقال: نبا الشيء نباوة إذا ارتفع.

ولا مانع من اجتماع المعنيين في النبوة، فالنبي مُخْبِرٌ عن الله تعالى، وهو مرتفع بذلك في المكانة والشرف على قومه.

والرسالة: مشتقة من رَسَلَ، وأصلُ الرسلِ الاتبعات على التؤدة، يقال: ناقة رسله، أي سهلة السير، وإبل مراسيل منبعتة انبعثتاً سهلاً، ومنه الرسول المنبعث.

والرسالة هي التوجيه بأمرٍ ما، فالرسول هو الذي يتابع أخبار الذي بعثه.

### النبي اصطلاحاً:

هو إنسان ذكر حر أوحى الله إليه وبعثه لتقرير شريعة من قبله، ولم يكذب لأنه يبعث إلى قوم مؤمنين .

### والرسول اصطلاحاً:

هو إنسان ذكر حر أوحى الله تعالى إليه بشرع وأمره بتبليغه للناس فكذبوه، أو آمن بعضهم وكذب آخرون.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ (الحج/52).

فذكر الله تعالى إرسالاً يعم النوعين، وقد خصَّ أحدهما بأنه رسول، فإن هذا هو الرسول المطلق الذي أمره الله عز وجل بتبليغ رسالته إلى من خالف، كنوح عليه السلام، أما الأنبياء فيأتيهم وحي من الله تعالى بما يفعلونه ويأمرون به المؤمنين.

وقد ذهب طائفة من العلماء إلى أنه ليس هناك فرق بين النبي والرسول، فكل نبي يسمى رسولاً، وكل رسول يسمى نبياً، غير أنه يسمى رسولاً بالنظر إلى ما بينه وبين الناس، ويسمى نبياً بالنظر إلى ما بينه وبين الله، وكلاهما متلازمان، فبل يجوز عندهم أن يقال نبي حتى يون مرسلًا والدليل عن ذلك قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ.....﴾ فأوجب للنبي الرسالة، وإن معنى نبي أنبأ عن الله عز وجل، ومعنى أنبأ عن الله عز وجل الإرسال يعينه وممن ذهب هذا المذهب القاضي عياض من المالكية وغيره .

ولذلك عرفهما البعض تعريفاً واحداً.

وقال أبو الأعلى المودودي: الرسول من يؤدي إلى الناس رسالة ربهم ويهديهم إلى صراطه

المستقيم بإذنه .

وقال الدكتور عبدالكريم عثمان: النبي هو الإنسان الذي يختاره الله تعالى ليقوم بأداء رسالة معينة. إلا أن أكثر العلماء قد فرقوا بين النبي والرسول في التعريف الاصطلاحي، وخاصة المتقدمين منهم، وقد ذهبوا إلى أن بينهما عموماً وخصوصاً مطلقاً وقالوا: إن النبي هو من أُوحي إليه بأمرٍ من الله سواء كُلف بتبليغه أم لا، فإن كُلف بتبليغه كأن أُوحي إليه بشرح أو كتاب إلى عامة الناس، فهو رسول أيضاً، وعلى هذا فكل رسول نبي. إذ الرسالة إلى الناس فرعٌ عن النبوة من الله، وليس كل نبي رسولاً، إذا قد يكون موحى إليه دون تكليف له بالتبليغ.

وقال الفراء: " الرسول الذي أرسل إلى الخلق بإرسال جبريل عليه السلام إليه عياناً، والنبي الذي تكون نبوته إلهاماً أو مناماً، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً".

وقال المهدي: " وهذا هو الصحيح أن كل نبي رسول وليس كل نبي رسولاً"، وكذا ذكر القاضي عياض في كتاب الشفا. قال: "والصحيح والذي عليه الجمع الغفير أن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً"، احتج بحديث أبي ذر، وإن الرسول من الأنبياء ثلاثمائة وخمسة عشر، أولهم آدم وعليه السلام وأخراهم محمد .

**أولو العزم من الرسل:**

ورد في أولي العزم من الرسل عدة أقوال، أرجحها ما نقله الإمام البغوي عن ابن عباس: أنهم، نوح، إبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، قال وهم المذكورون في قوله



تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (الأحزاب /7).

### وظائف الرسل عليهم السلام:

يرسل الله تعالى الرسل لأداء مهمات ووظائف محددة يريدها منهم، والمتأمل في القرآن الكريم يستطيع أن يدرك هذه المهمات والوظائف والتي من أبرزها:-

أولاً: تبليغ الرسالة السماوية: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة/67).

ثانياً: قيادة الأمة وسياستها الدينية والدنيوية: قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ (النساء/64).

وقال تعالى: ﴿وَأَنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ (المائدة/49).

ثالثاً: تربية الناس وفق منهج الدين وتأديبهم بأدابه، ودعوتهم إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، وتعبيدهم لله عز وجل وحده:

قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل/125).

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب/21).

رابعاً: توضيح النصوص المنزلة عليهم وشرح معانيها: قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ. بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل/43-44).

خامساً: الشهادة على الأمة بأنهم بلغوا الرسالة، وأدوا الأمانة، ونصحوا الأمة، وقاموا بواجبهم على أكمل وجه، فالرسل هم شهود الله تعالى على الناس، حتى لا يكون للناس حجة على الله بعد الرسل: قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل/89)، وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة/143).

فهذه أهم وظائف الرسل ومهامهم التي بعثوا من أجلها.

### الواجب علينا نحو الرسل:

- الواجب علينا نحو الرسل عليهم السلام عدة أمور نجملها فيما يلي:
- 1- يجب علينا الإيمان بهم جميعاً وبرسالاتهم وأن نصدّقهم جميعاً دون أن نفرق بين أحدٍ منهم، فمن لم يؤمن بواحدٍ منهم فقد كفر، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ، وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ، وَيَقُولُونَ: نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا، أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا..﴾ (النساء/150-151).
  - 2- يجب علينا طاعتهم، وعدم مخالفتهم، لأن طاعتهم من طاعة الله عز وجل. قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (النساء/80).  
وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (النساء/64).
  - 3- يجب علينا الإيمان بأن كل رسول قد أدى رسالته وبلغها على الوجه الأكمل.
  - 4- يجب أن نؤمن بأن رسل الله كلهم كانوا من الرجال، فلم يبعث الله أنثى، وليسوا من الملائكة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ﴾ (الأنبياء/7).
  - 5- يجب أن نعتقد بأن الرسل جميعاً كانوا أكمل الناس خلقاً وأكثرهم علماً وعملاً وأصدقهم قولاً، وقد خصّهم الله بخصائص تميزهم عن غيرهم من الخلق، كما أن الله عز وجل قد عصمهم ونزّهم عن الكذب والتقصير في التبليغ، وعن الكبائر والصغائر، وقد تقع منهم زلاتٌ وعثرات بسيطة بالنسبة إلى ما هم عليه من علو المقام، كما وقع لآدم عليه السلام في أكله من الشجرة على وجه النسيان ولكنهم لا يُقرّون عليها بل يوقفون للتوبة منها.
  - 6- يجب أن نؤمن أن الرسل هم بشر خصمهم الله بميزات أخلاقية ولم يخصهم بطبائع أخرى غير الطبائع البشرية، فهم يأكلون ويشربون وينامون ويتزوجون ويجلسون ويضحكون ويمرضون ويموتون. قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ؟ وَمَنْ يَتَّقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران/144).
- وقال تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ (المائدة/75).

7- يجب أن نؤمن أنهم لا يملكون شيئاً من خصائص الألوهية فلا يعلمون الغيب إلا ما أطلعهم الله عليه، ولا يتصرفون في الكون، ولا يملكون النفع والضرر، ولا يؤثرون في إرادة الله تعالى،  
 قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف/188).  
 وقال تعالى: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ (الجن/26-27).

8- كما يجب علينا أن نؤمن بأن الله تعالى قد أيدهم بالمعجزات والخوارق الظاهرة الدالة على صدقهم فيما جاءوا به من عند الله عز وجل.

#### رابعاً: الإيمان بالكتب

##### معنى الكتاب لغةً واصطلاحاً:

الكتاب في اللغة: الضم، أي ضم الحروف بعضها إلى بعض بالخط، يقال: كتبه، واكتتبه: استملاه، والكتاب ما يكتب فيه، ويطلق على: الدواة، والتوراة، والصحيفة، والقرآن، والحكم، والقدّر كما تطلق الكتابة على الحروف المضموم بعضها إلى بعض باللفظ، ولهذا سُمي كلام الله - وإن لم يكتب كتاباً - كقوله: ﴿أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ (البقرة/102).

والكتاب: في الأصل مصدرٌ ثم سُمي المكتوب فيه كتاباً، والكتاب في الأصل اسمٌ للصحيفة مع المكتوب فيها. قال تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ (النساء/153) يعني صحيفةً فيها كتابةٌ .

والكتاب في الاصطلاح يطلق على كل صحيفة أو كتاب أو لوح أنزله الله تعالى على نبيٍّ من أنبيائه من لدن آدم إلى محمد عليهم السلام، وبأية لغة من اللغات نزلت.

قال تعالى: ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ (آل عمران/119) أي بالكتب المنزلة فوضع ذلك موضع الجمع إما لكونه جنساً كقولهم كثر الدرهم في أيدي الناس، أو لكونه في الأصل مصدرًا نحو عدل، وذلك كقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ (البقرة/4).

##### الإيمان بعموم الكتب التي أنزلها الله تعالى على رسله:

والواجب على المسلم التصديق الجازم بجميع ما أنزل الله تعالى من كتاب، وما أتى بعض رسله من صحف ما سمي وما لم يسم، وأن كلها منزلٌ من عند الله تعالى على رسله تكلم بها حقيقة كما شاء

وعلى الوجه الذي أراد، فمنها المسموع منه من وراء حجاب بدون واسطة، ومنها ما يُسمعه الرسول الملكي ويأمره بتبليغه منه إلى الرسول البشري،

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (الشورى/51).

وقال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ (النساء/164).

وقال تعالى: ﴿يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾ (الأعراف/144)، وقال تعالى: ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ (النجم/10).

وقال تعالى: ﴿يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ (النحل/2)، وقال تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْتَبٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ (الإسراء/106). ومنها: ما خطه بيده عز وجل، كما قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ وَأَمَرَ قَوْمَكِ يَاخُذُوا بِحُسْنِهَا﴾ (الأعراف/145).

والإيمان بكل ما فيها من الشرائع وأنه كان واجباً على الأمم الذين نزلت إليهم الصحف الأولى الانقياد لها والحكم بما فيها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَنْبِيَاءُ بِمَا اسْتُخْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَخَشَوُا اللَّهَ وَخَشَوُا النَّاسَ وَأَخْشَوْنَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ إلى قوله ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ. وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَعَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ، وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ. وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ، لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا...﴾ (المائدة/44-48).

والإيمان بأن جميع الكتب السماوية يُصدَّق بعضها بعضاً ولا يُكذِّبه أبداً.. قال تعالى في الإنجيل: ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ وقال في القرآن: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾.

وكل من كذَّب بشيء منها أو أبى عن الانقياد لها مع تعلق خطابه به يكفر بذلك كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ (الأعراف/40).

والإيمان بأن نُسَخَ الكتب الأولى بعضها ببعض حق، كما نُسَخَ بعض شرائع التوراة والإنجيل، قال تعالى في عيسى عليه السلام: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ إلى قوله ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ وَأَجَلًا لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ (آل عمران/48-50).

كما ونُسَخَ كثيرٌ من شرائع التوراة والإنجيل والقرآن.

قال تعالى: ﴿عَذَابِي أَصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسَّعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ، فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا..﴾ (الأعراف/156-158).

وَنُسَخَ القرآن بعض آياته ببعض حق، قال تعالى: ﴿مَا نُنسخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ (البقرة/106). وقال تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (النحل/101) والناسخ والمنسوخ آيات مشهورة في القرآن وقد ذكرتها كتب التفسير وعلوم القرآن، ويجب أن نؤمن بأنه لا يأتي كتاب بعده ولا مغير ولا مبدل لشيء من شرائعه بعده، وأنه ليس لأحد الخروج عن شيء من أحكامه، ومن كَذَّبَ بشيء منه من الأمم الأولى فقد كَذَّبَ بكتابه، كما أن من كَذَّبَ بما أخبر عنه القرآن من الكتب فقد كذب به وأن من اتبع غير سبيله، ولم يقتف أثره فقد ضل ضلالاً بعيداً، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (الأعراف/3،2).

## الكتب التي ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم:

يجب الإيمان بكتب الله عز وجل إجمالاً وتفصيلاً، وقد سمي الله تعالى من كتبه في القرآن الكريم ما يلي:

### 1- التوراة التي نزلت على موسى عليه السلام:

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّيَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً﴾ (المائدة/44).  
وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ، قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَارِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً﴾ (الأنعام/91).

### 2- الإنجيل الذي نزل على عيسى عليه السلام:

قال تعالى: ﴿وَوَقَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة/46).

### 3- الزبور الذي نزل على داود:

﴿وَوَقَّيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً﴾ (الإسراء/55).

### 4- صحف إبراهيم وموسى:

قال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ. وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾ (النجم/36-42).

وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّىٰ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ. إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ (الأعلى/14-19).

وفي السنة: عن أبي ذر رضي الله عنه قال: (قلت: يا رسول الله ما كانت صحف إبراهيم؟ قال: كانت أمثلاً كلها: أيها الملك المسلط المتبلى المغرور إنني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض، ولكني بعثتك لتردّ عني دعوة المظلوم، فإني لا أردّها وإن كانت من كافر.

وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون ساعات: فساعة يناجي فيها ربه. وساعة يحاسب فيها نفسه. وساعة يتفكر فيها في صنع الله عز وجل. وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم

والمشرب، وعلى العاقل ألا يكون ظاعناً (مرتحلاً) إلا لثلاث: تزود لمعاد، أو لمعاش، أو لذة في غير محرم. وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه. ومن حسَب كلامه من عمله قلَّ كلامه إلا فيما يعنيه. قلت يا رسول الله: فما كانت صحف موسى عليه السلام: (قال: كانت عبراً كلها: عجبٌ لمن أيقن بالموت ثم هو يفرح. عجبت لمن أيقن بالنار، ثم هو يضحك، عجبت لمن أيقن بالقدر، ثم هو ينصب - يتعب - عجبت لمن رأي الدنيا وتقلبها بأهلها، ثم اطمأن إليها. عجبت لمن أيقن بالحساب غداً، ثم لا يعمل..).

5- **والقرآن الكريم وهو آخر الكتب السماوية نزولاً.** وقد أخبر تعالى عن التنزيل على رسله مجملاً في قوله: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ إلى قوله ﴿وَمَا أَوْتِي النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ (البقرة/136).

وقال تعالى: ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾ (النساء/136). فنقول كما أمر الله عز وجل: آمناً بما أنزل الله من كتابٍ وما أرسل من رسول. وقال تعالى في القرآن والسنة: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (الحشر/7). ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ (ال عمران/7).

### خامسا : الإيمان باليوم الآخر

الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان، وجزء مهم من أجزاء العقيدة، وهو يلي الإيمان بالله تعالى مباشرة لأن الإيمان بالله تعالى يحقق المعرفة بالمصدر الأول الذي صدر عنه الكون، والإيمان باليوم الآخر يحقق المعرفة بالمصير الذي ينتهي إليه هذا الوجود، وعلى ضوء المعرفة بالمصدر والمصير يمكن للإنسان أن يحدد هدفه، ويرسم غايته التي يتطلع إليها. فإذا فقد الإنسان هذه المعرفة فإن حياته سوف تكون بلا هدف ولا غاية، وحينها يفقد الإنسان إنسانيته ومكانته الروحانية، ويعيش كما تعيش الأنعام التي تسيرها غرائزها وأهواؤها.

### معنى الإيمان باليوم الآخر إجمالاً:

وهو الإيمان بكل ما أخبر الله به عز وجل عن طريق الوحي، مما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه ونعيمه، والبعث والحشر والصحف والحساب والميزان والحوض والصراف والشفاعة والجنة والنار، وما أعد الله تعالى لأهلها جميعاً.

## مفهوم اليوم الآخر:

يبدأ اليوم الآخر بفناء هذا العالم، وموت كل من فيه من الأحياء، وتتبدل السماوات والأرض. ثم ينشئ الله تعالى النشأة الأخرى، ويبعث الناس جميعاً، وبعد البعث يحاسب الله تعالى كل فرد على ما قدم من خير أو شر، فمن ثقلت موازين أعمال الخير عنده فهو من أهل الجنة، ومن خفت موازين الخير وثقلت موازين الشر عنده فهو من أهل النار ويدخل فيها.

## اهتمام القرآن بتقرير الإيمان باليوم الآخر:

وقد اهتم القرآن الكريم بتقرير الإيمان بهذا اليوم اهتماماً بالغاً يظهر لنا من خلال الأمور التالية:

1- ربط الإيمان باليوم الآخر بالإيمان بالله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَأَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (البقرة/177).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة/62).

2- إكثار القرآن من ذكر اليوم الآخر، فلا تكاد سورة تخلو من الحديث عنه، وما سيكون فيه من أحداث، وتقريبه إلى الأذهان تارة بالحجة والبرهان، وتارة بضرب الأمثال.

3- إطلاق القرآن أسماء كثيرة على اليوم الآخر التي يدل كل اسم منها على ما سيقع فيه من أهوال وأحداث، فمن أسمائه: يوم البعث، ويوم القيامة، والساعة، ويوم الدين، ويوم الحساب، ويوم الفتح، ويوم التلاق، ويوم الجمع والتغابن، ويوم الخلود، ويوم الخروج، ويوم الحسرة، ويم التناد، والآفة والطامة والصاخة، والحاقة، والغاشية، والواقعة، والزلزلة وغيرها .

## حكمة الاهتمام به :

وكان اهتمام القرآن باليوم الآخر لعدة أسباب:

1- لما له من أثر عظيم في حياة الإنسان، فالإيمان باليوم الآخر وما فيه من جنة ونار وحساب وعقاب، وثواب له أثر بالغ في توجيه الإنسان وتصحيح سلوكه وانضباطه بالعمل الصالح وتقوى الله عز وجل. وكثيراً ما ربط الله تعالى بين الإيمان باليوم الآخر والعمل الصالح مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (التوبة/18).



وقوله تعالى: ﴿أَرَعَيْتَ الَّذِي يُكذِّبُ بِالذِّينِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْبَيْتِمْ. وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ﴾ (الماعون/1-3).

2- أن المشركين من العرب كانوا ينكرونه أشد الإنكار وكان يثير استعجابهم واستغرابهم، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ (الجاثية/24).

3- أن أهل الكتاب وإن كانوا يؤمنون باليوم الآخر إلا أن تصورهم له قد بلغ منتهى الفساد. فالنصارى مثلاً يعتمدون فيه على وجود يسوع المخلص الذي يفدي الناس بنفسه، ويخلصهم من عقوبة الخطايا. وهذا يطابق عقيدة الهنود في بوذا وكرشنه، وأما عقيدة اليهود في الله واليوم الآخر فلا تقل فساداً وضللاً عن عقيدة النصارى والهنود.

4- ولعل الحكمة أيضاً من اهتمام القرآن باليوم الآخر كثرة نسيان العباد له، وغفلتهم عنه، بسبب تنافلهم إلى الأرض، وحبهم للعالم، فيكون الإيمان باليوم الآخر مخففاً من الغلو في حب الدنيا، لأن الإنسان إذا تذكر اليوم الآخر وما يحصل فيه فإنه يعلم أن شهوات الدنيا الفانية لا تستحق منه كل هذا الجهد والطلب والاهتمام، ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (التوبة/38).

والمؤمن إذا تذكر اليوم الآخر فإنه يكثر من الخير ابتغاء ثوابه، ويبتعد عن الشر ما استطاع خوف عذابه، فإذا عرض له محرّم لذيق، ذكر ألم الآخرة على ارتكابه فصرف نفسه عنه، وزهداً في لذته، وإن واجه واجباً صعباً ذكر ثواب الآخرة على فعله، فحمل نفسه عليه ورغبها فيه.

#### أدلة الإيمان باليوم الآخر ورد شبه المنكرين:

الإيمان باليوم الآخر هو إيمانٌ بالبعث والحساب والثواب والعقاب، وكل ما يحصل في ذلك اليوم من أمور ذكرت في الكتاب والسنة، والبعث هو إعادة الإنسان روحاً وجسداً كما كان في الدنيا، وتكون هذه إعادة بعد العدم التام، ولا يستطيع الإنسان معرفة النشأة الأخرى لأنها تختلف تمام الاختلاف عن النشأة الأولى.

قال تعالى: ﴿نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئُكُمْ فِي مَا لَا

تَعْلَمُونَ. وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (الواقعة/60-62).

ولقد أورد القرآن الكريم أدلة كثيرة على البعث، واستدل بالنشأة الأولى على النشأة الأخرى، مبيناً أن الله تعالى على كل شيء قدير، وأنه بكل شيء عليم، فلا تعجزه إعادة الأجسام إلى طبيعتها، ولا يضيع منها شيء لسعة علمه سبحانه.

قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (يس/78-79).

والإيمان باليوم الآخر قد دل عليه القرآن والسنة والعقل والفطرة السليمة فأخبر عنه الله عز وجل في كتابه العزيز، وأقام عليه الدليل، ورد على المنكرين في غالب سور القرآن.

والمنكرون للبعث ليس لهم دليل على إنكارهم، لأن ذلك أمرٌ غيبي لا يعلمه إلا الله عز وجل، والذي له الحق في الإثبات أو الإنكار هو من يتلقى عن الله عز وجل، فمن قامت الحجج القاطعة على تلقيه من عند الله فهو الصادق فيما يخبر به عن شيء من هذه الأمور، وهذا الأمر لم يثبت إلا للرسول الكرام عليهم السلام الذي أيدهم الله تعالى بالمعجزات، وأطلعهم على بعض الغيب، والأنبياء كلهم متفقون على الإيمان باليوم الآخر والتأكيد عليه من آدم إلى نوح إلى إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم، من حين أهبط آدم إلى الأرض. قال تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ، وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ (الأعراف/24-25).

ولما قال إبليس اللعين: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمٍ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ (الحجر/36-38) وأخبرنا القرآن عن نوح عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا، ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ (نوح/17-18) وعن إبراهيم عليه السلام أنه قال: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ (الشعراء/82).

وقال تعالى لموسى عليه السلام لما ناجاه: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ. فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ﴾ (طه/15-16).

وقد أمر الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يُقسم على المعاد فقال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ. قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ﴾ (سبأ/3).

وأخبر عن اقترابها، فقال: ﴿اقتربت الساعةُ وانشقَّ القمرُ﴾ (القمر/1).

وقال تعالى: ﴿اقترب للناسِ حسابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾ (الأنبياء/1) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على وقوع اليوم الآخر وقربه.

وأما المنكرون للبعث من المشركين والملحدين فإن إنكارهم قائم فقط على بعض الشبهات والشكوك حول حصول ذلك اليوم، وهذه الشبهات ليس أكثر من الاستبعاد والاستعظام والتعجب.

قال تعالى حكاية عن المشركين: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا، وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (الجنائفة/24).

وقال: ﴿أَعْدَا مِثْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ (ق/3).

وقد ذكر القرآن الكريم أدلة كثيرة تؤكد على الإيمان باليوم الآخر. وترد هذه الشبه بطريقة عقلية واقعية، وتبين ضعفها، كما ضرب لهم أمثلة وشواهد حاصلة يؤيدها الواقع والعقل وهي من خلق الله عز وجل، منها:

### 1- الاحتجاج بالنشأة الأولى على النشأة الأخرى:

قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ؛ قَالَ: مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ. قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ. الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ. أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ. بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ (يس/78-81).

انظر إلى هذا البيان العظيم، والحجة المتينة، والألفاظ الموجزة مع وضوح الدليل وصحة البرهان، إنما يدل على الإعجاز القرآني، فقد افتتح سبحانه هذه الحجة بسؤال أوردته ملحد، اقتضى جواباً، فكان في قوله "ونسي خلقه" ما يفي بالجواب، ويقم الحجة ويزيل الشبهة.

ثم أراد الله تعالى تأكيد الحجة وتوضيحها فقال: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ فاحتج بالإبداء على الإعادة، وبالإنشاء الأول علاننشأة الأخرى؛ لأن كل عاقل يعلم علم اليقين أن من قدر على الأولى كان على الثانية أقدر.

ولما كان الخلق يستلزم قدرة الخالق وعلمه بتفاصيل خلقه أتبعها بقوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ فهو عليم بتفاصيل الخلق الأول وجزئياته ومواده وصورته، فكذلك الخلق الثاني.

ثم أكد الأمر بحجة قاهرة وبرهانٍ ساطع يتضمن جواباً عن سؤال ملحدٍ آخر يقول: العظام إذا صارت رميماً عادت طبيعتها باردةً يابسة، والحياة لا بد أن تكون مادتها وحاملها طبيعة حارة رطبة، فقال: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ﴾ فهذا مثال واقعي أخبر

سبحانه بإخراج هذا العنصر الذي هو في غاية الحرارة واليبوسة من الشجر الأخضر الممتلئ من الرطوبة والبرودة، فالذي يُخرج الشيء من ضده هو الذي يفعل ما أنكره الملحد ودفعه، من إحياء العظام وهي رميم، ثم أكد هذا بأخذ الدلالة من الشيء الأجل الأعظم، على الأيسر الأصغر، فإن كل عاقل يعلم أن من قدر على العظيم الجليل فهو على ما دونه بكثير أقدر وأقدر، فقال: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾. فأخبر أن الذي أبدع السموات والأرض على حالتها، وعظم شأنهما، وكبر أجسامهما، وسعتهما، وعجيب خلقهما، أقدر على أن يحيي العظام وقد صارت رميماً، فيردها إلى حالتها الأولى، ثم قال: ﴿بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ ثم أكد سبحانه ذلك وبينه ببينة أخرى، وهو أنه ليس فعله بمنزلة غيره الذي يفعل بالآلات والكلفة، والنصب والمشقة، ولا يمكنه الاستقلال بالفعل، بل لا بد معه من آلة ومعين؛ بل يكفي في خلقه لما يريد أن يخلقه ويكوّنه بنفس إرادته، وقوله للشيء "كن" فإذا هو كائن كما شاء وأراد .

## 2- القادر على خلق الأعظم على خلق ما دونه أقدر:

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَعْنَا لَمُبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا. قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا. أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ. فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا، يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء/49-52)،

فتأمل كيف أجابهم الله تعالى على كل سؤال على التفصيل:

فقد قالوا أولاً: ﴿وَقَالُوا أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَعْنَا لَمُبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ فأجابهم: إن كنتم تزعمون أنه لا خالق لكم ولا رب لكم، فهلا كنتم خلقاً لا يفنيه الموت، كالحجارة والحديد مثلاً وما هو أكبر في صدوركم من ذلك؟ فإن قلتم: كنا خلقاً على هذه الصفة التي لا تقبل البقاء! فما الذي يحول بين خالفكم ومنشئكم وبين إعادتكم خلقاً جديداً؟!

وعلى تقدير آخر وهو: لو كنتم من حجارة أو حديد أو خلق أكبر منهما فإنه قادر على فنائكم وإحالة نواتكم ونقلها من حالٍ إلى حال، ومن يقدر على التصرف في هذه الأجسام -مع شدتها وصلابتها بالإفناء والإحالة- فما الذي يعجزه فيما دونها؟!

ثم أخبر عن سؤالٍ آخر عنهم بقولهم: من يعيدنا إذا استحالت أجسامنا وفنيت؟ فأجابهم بقوله: ﴿قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ فلما أخذتهم الحجة، ولزمهم حكمها، انتقلوا إلى سؤالٍ آخر يتعللون به بعلل المنقطع، وهو قولهم: متى هو؟ فأجيبوا بقوله: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾.

من مظاهر اليوم الآخر:

فتنة القبر وعذابه ونعيمه:

من مظاهر اليوم الآخر فتنة القبر وسؤال الملكين وعذاب القبر ونعيمه؛ فإن الإنسان إذا مات انتقل من دار الدنيا إلى البرزخ الذي هو مقدمة اليوم الآخر، فإذا مات الإنسان انقطع عمله في هذه الدنيا؛ لذا فإن الإيمان به يلتحق بالإيمان باليوم الآخر.

ومن هنا كان من الواجب على المرء أن يؤمن بما أخبر به رسول الله ﷺ مما يحصل للإنسان في البرزخ من سؤال الميت بعد دفنه عن ربه ودينه ونبيه، فيثبت الله المؤمن بالقول الثابت، فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد ﷺ فينعم فيه، ويُضِلُّ الله الظالمين فيقول الكافر: هاهاه لا أدري. ويقول المنافق أو المرتاب: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته، فيضرب ويُعذب في قبره.

أخرج البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن العبد إذا وضع في قبره، وتولى عنه أصحابه، إنه ليسمع قرع نعالهم، قال: يأتيه ملكان، فيقعدانه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ قال: فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، قال: فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة.

قال نبي الله ﷺ: فيراهما جميعاً، قال قتادة: وذكر لنا أنه يفسح له في قبره سبعون ذراعاً ويملاً عليه خضراً إلى يوم يبعثون. وأما المنافق والكافر، فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لادريت ولا تليت، ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين).

كما أخرج البخاري ومسلم: عن البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: (يثبت الله الذي آمنوا بالقول الثابت)، قال نزلت في عذاب القبر، فيقال له: من ربك؟ فيقول: ربي الله ونبيي محمد

ﷺ

فذلك قوله عز وجل: ﴿يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (إبراهيم/27)، وأما عذاب القبر: فيكون للظالمين من المنافقين والكافرين. قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ

الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ، الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿(الأنعام/93).

وقال تعالى في آل فرعون: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا، وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (غافر/45-46).

وهنا قد أشار إلى نوعين من العذاب:

الأول: "النار يعرضون عليها غدوًّا وعشيًّا".

والثاني: "ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب".

وعطف الثاني على الأول، والعطف يقتضي المغايرة، فإذا كان الثاني يوم تقوم الساعة، كان الأول في البرزخ.

وفي صحيح مسلم - من حديث - زيد بن ثابت رضي الله عنه، أنه قال: (بينما النبي ﷺ في حائط لبني النجار على بغلة له، ونحن معه، إذ حادت به، فكادت أن تلقيه، وإذ أقبر ستة أو خمسة أو أربعة، فقال ﷺ: من يعرف أصحاب هذه الأقبور؟ فقال رجل: أنا. قال: فمتى مات هؤلاء؟ قال: ماتوا في الإشراك، فقال: إن هذه الأمة تبئلي في قبورها، فلولا أن لا تدانفوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه، ثم أقبل علينا بوجهه فقال: تعوذوا بالله من عذاب النار، فقالوا: نعوذ بالله من عذاب النار. فقال: تعوذوا بالله من عذاب القبر، قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر، قال: تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن. قال: تعوذوا بالله من فتنة الدجال، قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال).

وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: (مرَّ النبي ﷺ بقبرين، فقال: إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، ثم قال: بلى، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة).

وأما نعيم القبر فهو للمؤمنين الصادقين المستقيمين، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ، أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (فصلت/30)، وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ فُرُوحًا وَّرِيحَانًا وَجَنَّةُ نَعِيمٍ..﴾ (إلى آخر السورة (الواقعة/83-96)).

وعن البراء بن عازب -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال في المؤمن إذا أجاب الملكين في قبره: (ينادي منادٍ من السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مدّاً بصره) والأحاديث التي تثبت فتنة القبر ونعيمه وعذابه كثيرة.

## سادساً: الإيمان بالقضاء والقدر:

### تعريف القضاء والقدر:

ذكر بعض العلماء أن القضاء والقدر يأتيان بمعنى واحد، وذهب بعضهم إلى أنهما يختلفان في المعنى، فقال: **القدر**: علم الله تعالى بما تكون عليه المخلوقات في المستقبل. والقضاء: إيجاد الله تعالى الأشياء وفق علمه وإرادته. وقد عكس بعضهم، فجعل تعريف القضاء السابق للقدر، وتعريف القدر للقضاء .

### وأما من ذكر أنهما بمعنى واحد فقد قال:

القضاء والقدر: هو النظام المحكم الذي وضعه الله لهذا الوجود، والقوانين العامة، والسنن التي ربط بها الأسباب بمسبباتها" .

وقد ورد في القرآن الكريم ما يؤكد هذه المعاني، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر/49). وقوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ (الرعد/8). وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ، وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ (الحجر/21).

وهذا مبني على المعنى اللغوي، فالقضاء إذن يكون بمعنى القدر، وهو جعل الشيء على قدر ما يقال: قدره وقضاه، وقد يقال: قدر وقدر مخفف ومثقل، والعرب تقول: قدرت الشيء وقدرته. قال رسول الله ﷺ (فإن غمَّ عليكم فاقدروا له ثلاثين) أي قدرُوا. وقد قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ (الأنعام/91).

### معنى الإيمان بالقضاء والقدر:

الإيمان بالقضاء والقدر هو أحد أركان الإيمان الستة التي بينها رسول الله ﷺ في حديث جبريل حين سأله عن الإيمان فقال: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره) فهو أصل من أصول الإيمان، والإيمان بالقدر من تمام الإيمان بربوبية الله تعالى، وأسمائه وصفاته، فلا بد للمرء أن يؤمن بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، ومعنى هذا أن المؤمن يجب عليه أن يؤمن بعلم الله تعالى المطلق لما سيكون في هذا الكون، وما سيصدر عن العبد من شيء قبل أن يكون، ويؤمن بمشيئة الله تعالى وإرادته النافذة وقدرته الشاملة.

وعلم الله تعالى بما سيقع، ووقوعه حسب هذا العلم لا تأثير له في إرادة العبد، فإن العلم صفة انكشاف لا صفة تأثير .

ومن هنا كان الإيمان بالقضاء والقدر يعني: الإيمان بأن الله تبارك وتعالى قدّر الأشياء في القدم، وعلم أنها ستقع في أوقات معلومة عنده - سبحانه وتعالى - وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع حسب ما قدرها ، والرضى والتسليم لله تعالى في كل ما قدر وقضى سواء كان خيراً أو غيره. فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال لابن عباس رضي الله عنهما: (يا غلام احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، وأعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف) .

وقد سئل سلمان الفارسي رضي الله عنه عن معنى الإيمان بالقدر خيره وشره؟ فقال: (حتى تؤمن بالقدر: تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم ليخطئك) .

### مراتب الإيمان بالقضاء والقدر:

#### وللإيمان بالقضاء والقدر مراتب أربع:

**المرتبة الأولى:** الإيمان بعلم الله تعالى المحيط بكل شيء، الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، وأنه تعالى قد علم جميع خلقه قبل كونهم، وعلم أرزاقهم، وآجالهم، وأقوالهم، وأعمالهم، وجميع حركاتهم وسكناتهم، ومن هو منهم من أهل الجنة، ومن هو من أهل النار، قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ (الحشر/22).

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (الطلاق/12). وقال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ﴾ (سبأ/3).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان/34).

وفي الحديث الصحيح: (قال رجل: يا رسول الله أيعرف أهل الجنة من أهل النار؟ قال: نعم. قال: ففيم يعمل العاملون. قال: كلٌ يعمل لما خُلق له أو لما يُسرَّ له).



**المرتبة الثانية:** الإيمان بكتابته تعالى لها قبل كونها، فقد كتب الله تعالى في اللوح المحفوظ مقادير الخلق، فما علم الله كونه، ووقوعه من مقادير الخلائق، وأصناف الموجودات، وما يتبع ذلك من الأحوال، والأوصاف، والأفعال، ودقيق الأمور، وجليلها، قد أمر القلم بكتابته، ففي الحديث: (إن أول ما خلق الله القلم، قال له: اكتب. قال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة)، فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وفي الحديث يقول النبي ﷺ: (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة). وقد قال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ (يس/12). وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ، إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (الحج/70). وقال تعالى: ﴿مَا قَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (الأنعام/38)، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على كتابة الله تعالى الأشياء قبل كونها.

**المرتبة الثالثة:** الإيمان بمشيئة الله تعالى النافذة وقدرته الشاملة، وهو ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه ما في السماوات وما في الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئته تعالى، لا يكون في ملكه ما لا يريد. قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ (آل عمران/47). وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ (هود/118). وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ (السجدة/13). وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (يس/82). إلى غير ذلك من الآيات الدالة على مشيئته تعالى لكل ما في الوجود. وقال ﷺ: (قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفها كيف يشاء).

**المرتبة الرابعة:** الإيمان بخلق الله تعالى لكل الموجودات، فهو خالق كل شيء من صغير وكبير وظاهر وباطن، وأن خلقه شامل لأعيان هذه المخلوقات وصفاتها وما يصدر عنها من أقوال وأفعال وآثار. وأن خلقه تعالى لكل شيء جاء وفقاً لعلمه وكتابته ومشيئته سبحانه وتعالى. قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ. لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (الزمر/63،62)، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الصفافات/96)، فلم يخلق الله شيئاً إلا بمشيئته سبحانه، قال تعالى: ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (إبراهيم/27). وقال تعالى مبيناً أن فعل

مخلوقاته بمشيئته: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ. وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (التكوير/29، 28) ومع أن الله تعالى لا يجري في ملكه إلا ما يريد، فإن العباد لهم قدرة. ولهم إرادة، وهم الفاعلون حقيقة لأفعالهم، والله تعالى خلقهم وإرادتهم؛ ولهذا فهم يستحقون على أفعالهم الجزاء إما بالمدح والمثوبة، وإما بالذم والعقوبة، ونسبة هذه الأفعال إلى العباد فعلاً، لا ينافي نسبتها إلى الله تعالى إيجاباً وخلقاً، لأنه تعالى هو الخالق لجميع الأسباب التي وقعت بها.

ومما يدل على أنه تعالى خالق الأعمال، قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ﴾ (النحل/81).

فأخبر الله تعالى أنه هو الذي جعل السراويل والثياب المصنوعة، ومادتها لا تسمى سراويل إلا بعد أن تحيلها صنعة الإنسان وعملهم، فإذا كانت مجعولة لله فهي مخلوقة له بجملتها: صورتها ومادتها وهيأتها .

ومن الأدلة أيضاً: إخباره سبحانه بأنه هو الذي يلهم العبد فجوره وتقواه، والإلهام هو الإلقاء في القلب لا مجرد البيان والتعليم، فمن بين لغيره شيئاً وعلمه إياه لا يقال له أنه قد ألهمه، فلا يعرف ذلك في اللغة أبداً، والصواب أنه تعالى جعل فيها فجورها وتقواها.. قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (الشمس/7، 8).

ومن فسر الآية من السلف بالتعليم والتعريف فمراده تعريف مستلزم لحصول ما سبق به القضاء والقدر لا تعريف مجرد عن الحصول .

### هل ينسب الشر إلى الله عز وجل؟

إن تقسيم القدر الذي يجب الإيمان به إلى خير وشر، إنما هو بإضافته إلى الناس والمخلوقات. أما بالنسبة لله عز وجل، فالقدر خير كله والشر لا ينسب إلى الله ، فقد الله تعالى قائم على الحق والعدل والحكمة، وهذا كله خير، فإن الشر لا يدخل في صفات الله تعالى، ولا يلحق أفعاله؛ لأنه تعالى كامل بذاته وصفاته وأفعاله، لذلك لا يجوز إضافة الشر إلى الله تعالى مفرداً، وإنما يجوز أن يدخل في العموم، كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (الزمر/62)، ويجوز أن يضاف إلى السبب، كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ. مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ (الفلق/1، 2)، ويجوز أن يذكر بحذف فاعله،

كقوله تعالى فيما حكاه عن الجن: ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ (الجن/10)، ويجب علينا أن نؤمن بأن الله تعالى لم يخلق شرراً محضاً من جميع الوجوه، لأن حكمته سبحانه تأبى ذلك، فلا يمكن أن يريد الله تعالى شيئاً يكون فساداً من كل وجه، ولا مصلحة في خلقه بوجه ما، فإنه تعالى بيده الخير كله، والشر ليس إليه، إنما حصل لعدم النسبة إليه، فإذا نُسب إليه لم يكن شرراً، وهو من حيث نسبته إلى الله تعالى خلقاً ومشينة ليس بشرٍ .

فخلق إبليس مثلاً فيه حكم كثيرة، كتوبة البشر بعد المعصية، واستخراج عبودية المؤمنين لله تعالى بجهاد إبليس وحزبه، واستخلاص الفئة المؤمنة، والصبر على إغرائه وإغوائه، واللجوء إلى الله عز وجل، إلى غير ذلك من الحكم غير الظاهرة. والمرضى مثلاً شرٌّ ومصيبة بالنسبة للإنسان عاجلاً ولكنه خيرٌ في الآجل، لما يدخره الله للمؤمنين الصابرين على المرض من ثواب ومغفرة وتطهير للنفوس. وكذا سجن أعداء الله للمؤمنين فإن فيه شرٌّ في الظاهر، وأما ما يحمله من خيرٍ فقد يجله كثيرٌ من الناس ففيه تحييص للنفوس وتطهير للصفوف، وتربية للأرواح، فضلاً عن الثواب الجزيل الذي أعده الله للصابرين منهم.

وهكذا فإن الشر هو أمرٌ نسبي إضافي، فهو خيرٌ من جهة تعلقه بفعل الرب وتكوينه، وشرٌّ بالنسبة إلى من هو شرٌّ في حقه .

### احتجاج الكفار بالقدر والرد عليهم:

الإيمان بالقدر لا يجعل للإنسان حجة على ما ترك من الواجبات أو فعل من المعاصي، أو أشرك، أو كفر بالله عز وجل، وبالتالي فإن أي محتج يكون احتجاجه باطل من عدة وجوه منها:

الأول: قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ (الأنعام/148). فقد رد الله تعالى على المشركين المحتجين بقدر الله على شركهم من وجهين:

الوجه الأول: أن الله أذاق الكافرين الأول بأسه، وأنزل بهم عقابه، فلو لم يكونوا مختارين للمعاصي والجرائم، والكفر والشرك لما عذبهم الله؛ لأنه عادل لا يظلم مثقال ذرة.

والوجه الثاني: أنهم زعموا ذلك عن جهل بالله وبيدنه، فهم ليس عندهم من علم يمكن أن يستند إليه، ويرجع إليه، وإنما كفرهم هذا تمرد على الحق والدين الذي أنزله الله على رسوله. وإذا كان الله قد عذب الأمم السابقة على كفرها، وإذا كان المشركون ليس لهم حجة يحتجون بها، فقد تقرر أن دعوهم ظنية لا تقوم عليها حجة، ولا ينهض بها دليل .

**الثاني:** قوله تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء/165) ولو كان القدر حجة للمخالفين لم تنتف حجتهم بإرسال الرسل لأن المخالفة بعد إرسالهم واقعة بقدر الله تعالى، ولما كان الله عز وجل حكيماً وقد أرسل الرسل بحجة البشارة والإنذار دل ذلك على بطلان دعوهم على الاحتجاج بالقدر وهو ما ظهر في الآية الكريمة.

## الولاء و البراء:

معنى الولاء والبراء:

الولاء في اللغة:

قال ابن منظور في لسان العرب: الموالاتة: هي أن يتشاجر اثنان فيدخل ثالث بينهما للصلح، ويكون له في أحدهما هوى فيواليه أو يحاييه، ووالى فلانٌ فلاناً: إذا أحبه.

والمولى اسم يطلق على: الرب والسيد والناصر والمحب والمنعم والمعتق، وغيرها. وهذه المعاني تقوم على النصرة والمحبة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مَنَّكَ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ (المائدة/51) أي: من يتبعهم وينصرهم، والموالاتة: ضد المعاداة، والوَلِي (بسكون اللام): القرب والدنو.

## الولاء في الاصطلاح :

**الولاية:** هي النصرة والمحبة والإكرام والاحترام، والكون مع المحبوب ظاهراً وباطناً، قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ..﴾ (البقرة/257)، فموالاتة الكفار تعني التقرب إليهم وإظهار الود لهم، بالأقوال والأفعال والنوايا

**أما البراء في اللغة:**

قال ابن الأعرابي: برئ إذا تخلَّص، وبرئ إذا تنزه وتباعد، وبرئ إذا أعذر وأنذر، ومنه قوله تعالى: ﴿بِرَاءةٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (التوبة/1) أي إعدار وإنذار، وتنزه.

والبراء والبرئ سواء. ولبلة البراء: لبلة يتبرأ القمر من الشمس، وهي أول ليلة من الشهر.

## والبراء في الاصطلاح :

هو البعد والخلاص والعداوة بعد الإغذار والإنذار .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في توضيح معنى الولاء والبراء: "الولاية: ضد العداوة. وأصل الولاية المحبة والقرب، وأصل العداوة: البغض والبعد ... والولي: القريب، يقال: هذا يلي هذا: أي يقرب منه... فإذا كان ولي الله هو الموافق المتابع له فيما يحبه ويرضاه، ويبغضه ويسخطه ويأمر به وينهى عنه، كان المعادي لوليه معادياً له، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْفُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُؤَدَّةِ﴾ (المتحنة/1)، فمن عادى أولياء الله فقد عاداه، ومن عاداه فقد حاربه، ولهذا جاء في الحديث: (ومن عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة) ."

## الولاء والبراء وصلتهما بالشهادتين:

المقصود بالشهادتين هو أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، ومعناهما: أشهد أن لا معبود بحق إلا الله، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، أرسله الله بالهدى والبيّنات، وبشهادة العبد هذه فإنه ينفي الإلهية عما سوى الله تعالى ويثبتها لله وحده.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "ليس للقلوب سرور ولا لذة تامة إلا في محبة الله، والتقرب إليه بما يحبه، ولا تمكن محبته إلا بالإعراض عن كل محبوبٍ سواه، وهذا حقيقة لا إله إلا الله، وهي ملة إبراهيم الخليل عليه السلام وسائر الأنبياء والمرسلين صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين".

أما الشق الثاني من الشهادة "محمد رسول الله" فمعناه تصديقه ومتابعته ﷺ فيما أمر والانتهاة عما نهى عنه وزجر، ومن هنا كانت "لا إله إلا الله" ولاءً وبراءً، نفيًا وإثباتًا.

ولاء لله ولدينه وكتابه وسنة نبيه والمؤمنين، وبراء من كل طاغوت عبّد من دون الله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ (البقرة/256).

وكلمة التوحيد ولاء لشرع الله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (الأعراف/3).

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (الروم/30).

وبراء من حكم الجاهلية: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْتَغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِّنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (المائدة/50). كما أنها براء من كل دين غير دين الإسلام: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ

وَهُوَ فِي الْأَجْرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران/85).

ثم إن كلمة التوحيد "لا إله إلا الله" هي نفي وإثبات، فهي تنفي أربعة أمور، وتثبت أربعة أمور:  
تنفي: الآلهة، والطواغيت، والأنداد، والأرباب.

فالآلهة: ما قصدته بشيء من جلب خير أو دفع ضرر، فأنت متخذه إلهاً.

والطواغيت: من عبد وهو راض، أو رُشَّح للعبادة.

والأنداد: ما جذبك عن دين الإسلام، من أهل، أو مسكن، أو عشيرة، أو مال، فهو ند لقوله

تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ (البقرة/165).

والأرباب: من أفتاك بمخالفة الحق وأطعته، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ

أَرْبَاباً مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (التوبة/31).

**وأما الأمور الأربعة التي تثبتتها فهي:**

- **الصدق**: وهو كونك ما تقصد إلا الله تعالى.

- **والتعظيم والمحبة**: لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ (البقرة/165).

- **والخوف والرجاء**: لقوله تعالى: ﴿وَإِن يَمَسُّنَكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ

فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (يونس/107).

فمن عرف هذا قطع العلاقة مع غير الله، ولا تكبر عليه جهامة الباطل، كما أخبر الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام بتكسير الأصنام،

وتبريه من قومه: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُاُ مِنْكُمْ

وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾

(الممتحنة/4).

- **والتقوى**: أن يتقي سخط الله وعقابه بترك الشرك والمعاصي، وإخلاص العبادة لله تعالى، واتباع

أمره على ما شرعه. كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: (أن تعمل بطاعة الله، على نور من الله،

ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله، تخاف عقاب الله).

ومن هنا كان الولاء والبراء من لوازم لا إله إلا الله؛ فإنه لما كان أصل الموالاة: الحب، وأصل

المعاداة: البغض، وينشأ عنهما من أعمال القلوب والجوارح ما يدخل في حقيقة الموالاة والمعاداة،

كالنصرة، والمعونة، والجهاد والهجرة وغيرها؛ فهذا يؤكد أن الولاء والبراء من لوازم لا إله إلا الله، قال

تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي

شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرْكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ آل عمران/28 وقال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ

قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴿المجادلة/22﴾.

والآيات في هذا الباب كثيرة، وأما السنة فمنها ما رواه الإمام أحمد عن جرير بن عبد الله البجلي أن رسول الله ﷺ بايعه على أن: (تنصح لكل مسلم، وتبرأ من الكافر) .

وروى الطبراني في الكبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (أوثق عرى الإيمان المولاة في الله والمعادة في الله، والحب في الله، والبغض في الله) .

فالولاء في الله تعالى هو: محبة الله ونصرة دينه، ومحبة أوليائه ونصرتهم، والبراء هو: بغض أعداء الله تعالى ومجاهدتهم.

### عقيدة أهل السنة والجماعة في الولاء والبراء:

يوضح شيخ الإسلام ابن تيمية عقيدة أهل السنة في الولاء والبراء بقوله: "على المؤمن أن يعادي في الله، ويوالي في الله، فإن كان هناك مؤمن فعليه أن يواليه - وإن ظلمه - فإن الظلم لا يقطع المولاة الإيمانية. قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ (الحجرات/9)، فجعلهم إخوة مع وجود القتال والبغي، وأمر بالإصلاح بينهم، فليتدبر المؤمن: إن المؤمن تجب مولاته وإن ظلمك واعتدى عليك، والكافر تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك، فإن الله سبحانه بعث الرسل، وأنزل الكتب ليكون الدين كله لله، فيكون الحب لأوليائه والبغض لأعدائه، والإكرام والثواب لأوليائه والإهانة والعقاب لأعدائه.

وإذا اجتمع في الرجل الواحد: خير وشر، وفجور وطاعة، ومعصية، وسنة وبدعة استحق من المولاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعادة والعقاب بحسب ما فيه من الشر، فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة كاللص تقطع يده لسرقتة، ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته، هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة".

لذلك فإن الناس في نظر أهل السنة والجماعة -بحسب الحب والبغض والولاء والبراء- ثلاثة أصناف:

الأول: من يُحب جملة: وهو من آمن بالله ورسوله، وقام بوظائف الإسلام، وأخلص أعماله وأفعاله وأقواله لله، وانقاد لأوامره، وانتهى عما نهى الله ورسوله عنه، وأحب في الله، ووالى في الله، وأبغض في الله، وعادى في الله، وقدم قول رسول الله ﷺ على قول كل أحدٍ كائنًا من كان .

**الثاني:** من يُحب من وجهه ويبغض من وجهه: وهو المسلم الذي خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فيحب ويوالي على قدر ما معه من الخير، ويبغض ويعادي على قدر ما معه من الشر ومن لم يتسع قلبه لهذا كان ما يفسد أكثر مما يصلح.. والدليل على ذلك: أن عبدالله بن حمار، وهو رجل من أصحاب النبي ﷺ وكان يشرب الخمر، أتى به إلى النبي ﷺ فلعنه رجل وقال: ما أكثر ما يؤتى به، فقال النبي ﷺ: (لا تلغنه فإنه يحب الله ورسوله) . مع أن رسول الله ﷺ لعن الخمر وشاربها وبائعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه.

**الثالث:** من يُبغض جملة: وهو من كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ولم يؤمن بالقدر خيره وشره، وأنكر البعث بعد الموت، أو ترك أحد أركان الإسلام الخمسة، أو أشرك بالله في عبادته أحداً من الأنبياء والأولياء والصالحين، وصرف لهم نوعاً من أنواع العبادة، كالحب والدعاء والخوف والرجاء والتوكل، والتعظيم، والاستعانة والاستعاذة، والاستغاثة، والذبح والنذر والإنابة والذل والخضوع والخشية والرغبة، والرغبة والتعلق، أو ألحد في أسمائه وصفاته واتبع غير سبيل المؤمنين، وانتحل ما كان عليه أهل البدع والأهواء المضلة، وكذلك كل من قامت به نواقض الإسلام العشرة أو أحدها.

فالمؤمن يجب أن يوالي المؤمن المستقيم على دينه ولاءً كاملاً ويحبه وينصره نصره كاملة، ويتبرأ من الكفار والملحدين والمشركين والمرتدين، ويعاديهم عداوة وبغضاً كاملين، أما من خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً فيوالي بحسب ما عنده من الإيمان، ويعادي بحسب ما هو عليه من الشر. وأما من حاد الله ورسوله فالواجب على المؤمن أن يعاديه ويتبرأ منه ولو كان أقرب الناس إليه، لقوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ (المجادلة/22).

ويمتثل المؤمن لنهي الله تعالى في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِّنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ. قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (التوبة/23-24).



## صور موالاتة الكفار ومظاهرها:

إن موالاتة الكفار تعني التقرب إليهم، وإظهار الود لهم، بالأقوال والأفعال والنوايا، وهذه من أخطر الأمور على المسلمين، إذ إن ضررها على المسلمين كافة أعظم من خطر من يكفر في نفسه فقط، وقد أشارت الآيات القرآنية إلى كثيرٍ من صور الموالاتة للكفار نذكر منها:

1- الرضى بكفر الكافرين وعدم تكفيرهم أو الشك في كفرهم أو تصحيح أي مذهب من مذاهبهم الكافرة ، ويؤكد هذا الأمر: أن الكافرين يُسرون ويُسعدون إذا رأوا من يوافقهم على كفرهم ويجاريهم على مذاهبهم الإلحادية خاصة من المسلمين، انظر إلى الكاتب المرتد سلمان رشدي مؤلف آيات شيطانية" كيف يحافظ عليه النصارى ويدافعون عنه. قال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ (البقرة/120).

2- التولي العام واتخاذهم أعواناً وأنصاراً وأولياء أو الدخول في دينهم، وقد نهى الله عن ذلك بقوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (ال عمران/28).

قال ابن جرير في تفسير هذه الآية: "من اتخذ الكفار أعواناً وأنصاراً وظهوراً يواليهم على دينهم ويظاهروهم على المسلمين فليس من الله في شيء. أي قد برئ من الله وبرئ الله منه، بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر. (إلا أن تتقوا منهم تقاة) أي إلا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم فتظهروا له الولاية بألسنتكم وتضمروا العداوة، ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر ولا تعينوهم على مسلم بفعل".

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِّنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (المائدة/51).

قال ابن حزم: "صح أن قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِّنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ إنما هو على ظاهره: بأنه كافر من جملة الكفار، وهذا حق لا يختلف فيه اثنان من المسلمين"

3- الإيمان ببعض ما هم عليه من الكفر أو التحاكم إليهم دون كتاب الله تعالى، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيْبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾ (النساء/51).

ونظير ذلك قوله تعالى عن بعض أهل الكتاب: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ. وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ...﴾ (البقرة/101-102).

فأخبر سبحانه أنهم اتبعوا السحر وتركوا كتاب الله كما يفعله كثير من اليهود وبعض المنتسبين إلى الإسلام. فمن كان من هذه الأمة موالياً للكفار: من المشركين أو أهل الكتاب ببعض أنواع الموالاة كإتيانه أهل الباطل واتباعهم في شيء من فعالهم ومقالهم الباطل: كان له من الذم والعقاب والنفاق بحسب ذلك، وهذه الصورة قد وقع فيها كثير من المنتسبين إلى الإسلام، ممن أخذ بالأفكار الوافدة من الغرب المعادية للدين كالاشرابية أو العلمانية أو الديمقراطية، ونادى بتطبيقها في بلاد المسلمين، بل وألزم المسلمين بالإقياد والطاعة والتنفيذ لها، وعادى كل من يدعو إلى التمسك بالدين والعودة إلى كتاب الله وسنة رسوله، وهذه هي الردة الجديدة.

4- مودة الكفار ومحبتهم: وقد نهى الله تعالى عنها بقوله: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ (المجادلة/22).

5- الركون إليهم: لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا سَكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ (هود/113).

قال القرطبي: "الركون حقيقة: الاستناد والاعتماد، والسكون إلى الشيء والرضا به. قال قتادة معنى الآية: لا تودوهم ولا تطيعوهم، وقال ابن جريج: لا تميلوا إليهم.

وهذه الآية دالة على هجران أهل الكفر والمعاصي من أهل البدع وغيرهم، فإن صحبتهم كفر أو معصية؛ إذ الصحبة لا تكون إلا عن مودة".

6- مدهانتهم ومداراتهم ومجاملتهم على حساب الدين، قال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ (القلم/9).

والمداينة والمجاملة والمدارة على حساب الدين أمر وقع فيه كثير من المسلمين اليوم، وهذه نتيجة طبيعية للهزيمة النفسية التي دخلت نفوس المسلمين، نتيجة للغزو الفكري الذي مورس على المسلمين، والتفوق المادي للغرب الذي بهر كثيراً من المسلمين، مما جعلهم يتخذون الغرب قدوة لهم في أفعالهم وأفعالهم، وانسلخوا من دينهم مجاملة للغرب الصليبي أو تقليداً أعمى لهم، وصدق رسول الله ﷺ حيث أخبرنا عن هؤلاء بقوله: (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم) قلنا: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: "فمن؟! وقد تبدأ المداينة والمجاملة بأمرٍ صغير ثم تكبر وتصبح ديدن المسلم حتى تؤدي إلى الخروج من الدين، فليحذر المسلم على نفسه من هذا الطريق الشيطاني، وليعلم أنه هو الأعز والأقوى والأفضل عند الله عز وجل إذا امتثل منهج الله وتقيد بشرعه، وأطاع الله في كل أمره.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (المنافقون /8)

7- اتخذهم بطانة من دون المؤمنين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوا مَا عَنْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (آل عمران/118).

وقد نزلت هذه الآية في أناس من المؤمنين كانوا يصفون المنافقين، ويواصلون رجلاً من اليهود لما كان بينهم من القرابة والصداقة والجوار فأنزل الله هذه الآية تنهاهم عن مباطنتهم خوف الفتنة منهم عليهم.

وبطانة الرجل: خاصته، تشبيهاً ببطانة الثوب التي تلي بطنه؛ لأنهم يستبطنون أمره ويطلعون منه على ما لا يطلع عليه غيرهم. وقد بين الله سبب النهي عن مباطنتهم فقال: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾، أي لا يقصرون ولا يتركون جهدهم فيما يورثكم الشر والفساد، ثم إنهم يودون ما يشق عليكم من الضر والهلاك، والعداوة التي ظهرت منهم: شتم المسلمين والوقعة فيهم، وقيل: بإطلاع المشركين على أسرار المسلمين.

8- طاعتهم فيما يأمرون ويشيرون به ، قال تعالى ناهياً عن ذلك: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (الكهف/28) وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يُرْدُوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ (آل عمران/149).  
وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِن أُطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ (الأنعام/121).

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: "وإن أطعتموهم إنكم لمشركون" حيث عدلتهم عن أمر الله لكم وشرعه إلى قول غيره، فقدمتم عليه غيره فهذا هو الشرك، كما قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ (التوبة/31).

9- مجالستهم، والدخول عليهم وقت استهزائهم بآيات الله، قال تعالى في النهي عن مجالستهم: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَن إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَتَّعَدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ (النساء/140).

قال ابن جرير: "قوله (إنكم إذا مثلهم) أي إنكم إذا جالستم من يكفر بآيات الله ويستهزئ بها وأنتم تسمعون فأنتم مثلهم إن لم تقوموا عنهم في تلك الحال؛ لأنكم قد عصيتم الله بجلوسكم معهم وأنتم تسمعون آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها.

وفي الآية دلالة واضحة على النهي عن مجالسة أهل الباطل من كل نوع من الكفرة والمبتدعة والفسقة عند خوضهم في باطلهم"

10- توليتهم أمراً من أمور المسلمين كالإمارة والكتابة (تعيينهم ككتاباً عند الملوك) وغيرها، والتولية شقيقة الولاية لذلك فتوليتهم نوعاً من توليهم. وقد حكم الله أن من تولاهم فإنه منهم، ولا يتم الإيمان إلا بالبراءة منهم. والولاية تنافي البراءة فلا تجتمع البراءة والولاية.

11- الرضى بأعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزئهم، فمن تشبه بقوم فهو منهم.

12- البشاشة لهم والطلاقة وانسراح الصدر لهم وإكرامهم وتقريبهم.

13- استئمانهم وقد حوّنهم الله، قال تعالى: ﴿وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدَّهُ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدَّهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران/75).

14- معاونتهم على ظلمهم ونصرتهم، وقد ضرب القرآن الكريم لذلك مثالين: امرأة لوط عليه السلام كانت رداءً لقومها، حيث كانت على طريقتهم، راضية بأفعالهم القبيحة، تدل قومها على ضيوف لوط، وكذلك فعل امرأة نوح.

15- مناصحتهم والثناء عليهم ونشر فضائلهم، وهذه الصورة ظهرت واضحة في العصر الحديث فقد رأينا تلاميذ المستشرقين ينشرون فضائلهم وأقوالهم، ويقولون إنهم أصحاب المنهج العلمي السديد، كذلك فقد رأينا من ينشر عادات الغرب أو الشرق مضيفاً عليها ألقاب المدنية والتقدم والحضارة والرقي، ويصفون الإسلام والمتمسكين به بالرجعية والتأخر والجمود.

16- تعظيمهم وإطلاق الألقاب عليهم، مثل: الحكماء والسادة وغيرها ومبادئهم بالسلام، فالتعظيم واللقب الرفيع رمز للعزة والتقدير وهما مقصورتان على المؤمن، أما الكافر فله الإهانة والذلة، قال رسول الله ﷺ: (لا تبتدؤوا اليهود ولا النصارى بالسلام، فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه) .

17- السكنى معهم في ديارهم وتكثير سوادهم، لقوله ﷺ: (من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله)

18- التآمر معهم، وتنفيذ مخططاتهم، والدخول في أحلافهم وتنظيماتهم، والتجسس من أجلهم، ونقل عورات المسلمين وأسرارهم إليهم، والقتال في صفهم، وهذه الصورة من أخطر ما ابتليت به أمتنا في هذا العصر، فقد أفسد المتآمرون من بني جلدتنا أجيال الأمة في كل مجال سواء في التربية والتعليم أم في السياسة وشؤون الحكم أم في الأدب والأخلاق أم في الدين والدنيا معاً.

19- من هرب من دار الإسلام إلى دار الحرب بغضاً للمسلمين وحباً للكافرين

20- من انخرط في الأحزاب العلمانية أو الإلحادية كالشيوعية والاشتراكية، والقومية والماسونية

وبذل لها الولاء والحب والنصرة

هذه أهم صور موالاتة الكفار، ومن هذه الصور ما هو كفر صريح، ومنها ما يؤدي إلى الكفر وهو باب من أبوابه، فليحذر المؤمنون هذه الصور حتى لا يقع في الكفر والردة بعد الإيمان والله المستعان.

**ما يقبل من الأعذار وما لا يقبل في هذه الصور:**

قد يعتذر بعض الموالين للكفار بأنهم يخافون على سلطانهم وأموالهم ومراكزهم وغير ذلك من المصالح الدنيوية، فهذا الاعتبار لا تصح في الدين، ولا تعتبر عذراً أو حجةً لصاحبها، فهي من باب حب الدنيا والتعلق بزينتها، وهي من تزيين الشيطان للشر، فإله تعالى لم يقبل عذراً لأحد في إظهار موالاته للكفار وطاعتهم وموافقتهم على دينهم، إلا عذراً واحداً هو: الإكراه.

قال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ (آل عمران/28).

وقال تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (النحل/106-107).

والإكراه: لا ينفع أحداً فيما يتعلق بالرضى القلبي، والميل الباطني إلى الكفار لأنه غير مأذون فيه على أية حال، لقوله تعالى: ﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾؛ ولأن الإكراه لا سلطان له على القلوب، فلا يعلم ما في القلب إلا الله تعالى.

فمن والى الكفار بقلبه ومال إليهم فهو كافر على أي حال، فإن أظهر موالاته بلسانه أو بفعله عومل في الدنيا بكفره وفي الآخرة يخلد في النار، وإن لم يظهرها بفعل ولا قول، وعمل بالإسلام ظاهراً عصم ماله ودمه وهو منافق في الدرك الأسفل من النار، أما من أكره على الموالاتة أو الكفر الصريح فنطقها باللسان دون اطمئنان القلب لذلك فقد أخذ بالرخصة وهي التقيّة. والتقيّة: مصدر توفّى واتقى وتوقيت الشيء أي حذرته، وهي: مجاملة المخالفين في العقيدة وإبهامهم بموافقتهم في عقائدهم بإظهار غير الحقيقة سواء كان ذلك بالكذب أم بغيره اتقاء الأذى وخوف الضرر.

والخلاف في التقيّة هل هي فرض لازم أو هي رخصة جائزة في ظروف اضطرارية، وهل هي بالقول فقط أو بالقول والفعل؟!.

فهي عند أهل السنة والجماعة: رخصة جائزة في القول باللسان دون الفعل حين الضرورة، ويرى الغزالي أن التقية إن كانت لعصمة دم مسلم فهي واجبة. وبه قال ابن حزم. ولئن كانت التقية رخصة في المجتمع الكافر خوفاً على النفس، إلا أن التمسك بالعزيمة أفضل لما في ذلك من إغزاز لدين الله، وغيظ للكافرين؛ لذلك امتنع عنها أولوا العزيمة من المسلمين، وعدّوها من النفاق.

ويشترط للتقية أن لا تسبب أضراراً بالآخرين من قتل، أو اغتصاب، أو شهادة زور. قال ابن عباس رضي الله عنه: "إن التقية باللسان لا باليد" يعني القتل.

وقد ذهب بعض الفقهاء إلى أن التقية كانت رخصة جائزة في أول ظهور الدعوة الإسلامية، يوم كان الإسلام مضطهداً أما الآن فغير جائزة. ولكن الرأي الراجح أنها رخصة حين الإكراه في كل زمان ومكان، وبالشروط السابقة لقول رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر: (فإن عادوا فعد لهم بما قلت).

#### الفرق بين الموالاة والمعاملة بالحسنى:

بقي أن نفرق بين الموالاة والمعاملة بالحسنى، فلا بد أن نعرف أن الولاء شيء والمعاملة بالحسنى شيء آخر، والأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة/8).

وقد اختلف أهل العلم في تفسير هذه الآية، فقال بعضهم أن المراد فيها: الذين كانوا آمنوا بمكة ولم يهاجروا فأذن الله للمؤمنين ببرهم والإحسان إليهم. وإلى هذا ذهب مجاهد.

وقال آخرون: عني بها من غير أهل مكة من لم يهاجر.

وقال البعض: بل عني بها من مشركي مكة من لم يقاتل المؤمنين ولم يخرجوهم من ديارهم ونسخ الله ذلك بعد بالأمر بقتالهم. ويروى هذا عن قتادة.

ورجح ابن جرير قول من قال: "لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلونكم في الدين من جميع أصناف الملل والأديان أن تبروهم وتصلوهم وتقسطوا إليهم، لأن الله عز وجل عمّ بقوله: ﴿الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ﴾. جميع من كان ذلك صفته، فلم يخص به بعضاً دون

بعض، ولا معنى لقول من قال: ذلك منسوخ؛ لأن برّ المؤمن أحداً من أهل الحرب ممن بينه وبينه قرابة نسب، أو ممن لا قرابة بينهما ولا نسب غير محرم، ولا منهي عنه إذا لم يكن في ذلك دلالة له أو لأهل الحرب على عورة لأهل الإسلام، أو تقوية لهم بسلاح أو غيره.

يظهر ذلك من خلال الخبر المروي عن ابن الزبير في قصة أسماء مع أمها" .

فقد روى البخاري ومسلم عن أسماء رضي الله عنها قالت: قَدِمْتُ عَلَيَّ أُمِّي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ فاستفتيتُ رسول الله ﷺ قلت: إن أُمِّي قدمت عَلَيَّ وهي راغبة، أفأصل أُمِّي؟ قال: (نعم صلي أمك).

قال الخطابي: "فيه -أي الحديث- أن الرحم الكفارة توصل من المال ونحوه كما توصل المسلمة، ويستتبط منه وجوب نفقة الأب الكافر والأم الكافرة، وإن كان الولد مسلماً".

وقال ابن حجر: "البر والصلة والإحسان لا يستلزم التحابب والتوادد المنهي عنه في قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ..﴾ (المجادلة/22). فإنها عامة في حق من قاتل ومن لم يقاتل".

ومن هنا فإن الموالاة المنهي عنها هي المتمثلة في الحب والنصرة، وأما الصلة والإحسان إلى الأقارب والنفقة فهي شيء آخر غير الموالاة، وهذا يبين عظمة هذا الدين وسماحته.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

## القواعد الفقهية في السياسة الشرعية

بقلم الدكتور الشهيد/ أحمد نياض شويح

رئيس دائرة الإفتاء برابطة علماء فلسطين سابقاً

إن السياسة الشرعية تقوم على جلب مصالح الدنيا والآخرة، ودفع المفساد عنهما وهذه المصالح والمفاسد منها ما هو معلوم واضح ومدرك بالنصوص، ومثال ذلك:

- مصلحة العبادات من صلاة وصوم وزكاة وحج.
- ومصلحة أكل الطيبات من مطعومات ومشروبات.
- ومصلحة ستر العورات من لباس الثياب، ونحو ذلك.

أما المفساد :

- مفسدة قتل النفس بغير حق.
- ومفسدة أكل الربا.
- ومفسدة شرب الخمر.
- ومفسدة السرقة.
- ومفسدة الظلم ونحو ذلك.

ومن المصالح والمفاسد غير معلوم وواضح بل لا يدرك إلا بالاجتهاد ومن هذه المصالح والمفاسد ما هو متجدد بتجدد الزمان، ويختلف بحسب ظروف المكان، وهذه المصالح والمفاسد التي لا تدرك إلا بالاجتهاد يدخل الخطأ في إدراكها في عامة آحاد الناس فقد يظن هذا الشخص ما ليس بمصلحة حقيقية مصلحة ينبغي تحصيلها، وقد يظن في الجانب المقابل ما ليس بمفسدة حقيقية مفسدة ينبغي دفعها وإزالتها، ويكثر هذا الخلط والاضطراب عندما لا تتميز المصالح من المفساد، لذلك فإن الفقه في هذا الباب لا يصلح أن يقدم عليه غير المتخصصين أو المبتدئين، وإنما هو في حاجة إلى علماء متضلعين في الفقه الإسلامي، إضافة إلى جانب التخصص في مجال الفقه والخبرة والتجربة الواسعة بالواقع الذي نعيشه وربما فهم هذه القواعد الفقهية يضبط هذا الأمر، ومن هذه القواعد ما يلي:

القاعدة الأولى: "لا ضرر ولا ضرار":

مستند هذه القاعدة حديث نبوي شريف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :  
"لا ضرر ولا ضرار".



## معنى الضرر والضرار:

الضرر: أي لا يجوز لأحد إيذاء غيره ابتداءً، لا في نفسه ولا في عرضه ولا في ماله، لأن إلحاق الضرر بالغير هو ظلم، والظلم حرام في الإسلام.

والضرر الممنوع إلحاقه بالغير هو الضرر الفاحش مطلقاً، أي حتى لو نشأ من فعل مباح يقوم به الشخص كمن يحفر في داره بئراً أو بالوعة ملاصقة لجدار جاره، أو يبني جداراً في داره يمنع النور عن جاره بالكلية، فعمله في داره وهو ملكه مباح ولكن إذا تولد منه ضرر فاحش بالغير كجاره مثلاً منع منه، أما لو تولد عن فعله المباح ضرر يسير غير فاحش فلا يمنع منه كما لو بنى في داره جداراً سد نافذة من نوافذ غرفة من غرف جاره.

الضرار: أي لا يجوز مقابلة الضرر بالضرر، وإنما على المتضرر أن يراجع جهة القضاء للحكم له بالتعويض عن ضرره على الذي ألحق به الضرر وعلى هذا فمن أتلف ماله لا يجوز له إتلاف مال الغير المتلف، وإنما عليه مراجعة القضاء لتعويضه عن الضرر.

## تفسير القاعدة:

الضرر والضرار الواردان في الحديث الشريف وردا لفظين نكرتين في سياق النفي مما يفيد الاستغراق والعموم، وهذا معناه نفي سائر أنواع الضرر ابتداءً أو مجازاةً، فالضرر لا تبيحه الشريعة لأحد ولا تشرعه، وهذا يعني أن كل ما جاء في الشرع مشروعيته فليس بضرر وإن كان فيه إزهاق الأنفس أو هلاك الأموال وانطلاقاً من ذلك فإن الضرر يمنع في جميع مراحلها.

فيمنع قبل وقوعه عند توقع حدوثه وتوفير الدواعي لذلك وذلك كالإجراءات، أو التنظيمات والترتيبات الوقائية التي يكون من شأنها منع الضرر جملةً، أو تضيق مجارية، وتقليل إمكانية حدوثه، فتحدد المناطق الصناعية أو المناطق التي ينتج عنها غازات سامة، أو روائح كريهة بالنسبة للتجمعات السكنية من السياسة الشرعية وكذلك تنظيم المرور بما يسهل حركة الناس والحياة ويمنع الأضرار الناتجة عن ترك الناس يسرون كيفما شاؤوا، فذلك أيضاً من السياسة الشرعية.

كما أن من السياسة الشرعية القائمة على منع الضرر قبل وقوعه: إعداد لفرق من القوة التي ترهب عدو الله وعدو المسلمين وتخيفهم، قال تعالى: " وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ " سورة الأنفال الآية 60

يمنع الضرر أثناء وقوعه: وذلك بمدافعته، وعدم الاستسلام له، كرد المعتدي، ومدافعة الصائل، جاء رجل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله! رأيت إن جاء رجل يريد أخذ

مالي ؟ قال : لا تعطه، قال : أرأيت إن قاتلني ؟ قال : قاتله، قال : أرأيت إن قتلني ؟ قال : فأنت شهيد، قال : أرأيت إن قتلته ؟ قال : هو في النار " مسلم كتاب الإيمان .

### حقيقة الصيال:

والصيال: " هو الاستطالة والوثوب على الغير بغير حق " والحكم التكليفي فيه هو الحرمة، لأنه اعتداء على الغير، لقوله تعالى: " وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ " سورة البقرة الآية 190 وقوله صلى الله عليه وسلم " كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه " الترمذي . ويدفع الصائل بالأخف فالأخف إن أمكن، فإن أمكن دفعه بكلام أو استغاثة بالناس حرم الضرب، أو أمكن دفعه بضرب بيد حرم بسوط، أو بسوط حرم بعضاً، أو أمكن دفعه بقطع عضو حرم دفعه بالقتل، لأن ذلك جائز للضرورة، ولا ضرورة في الأثقل مع إمكان تحصيل المقصود بالأخف . وعليه فلو اندفع شر الصائل بشيء آخر، كأن وقع في ماء أو نار، أو انكسرت رجله، أو حال بينهما جدار أو خندق أو غير ذلك، لم يكن له ضربه، وإن ضربه ضربة عطلته، لم يكن له أن يثني عليه، لأنه كفى شره ولأن الزائد على ما يحصل به الدفع لا حاجة إليه، فلم يكن له فعله . والمعتبر في ذلك هو غلبه ظن الموصول عليه، فلا يكفي توهم الصيال، أو الشك فيه، فإن خالف الترتيب المذكور، وعدل إلى رتبة - مع إمكان دفعه بما دونها - ضمن، فإن ولى الصائل هارباً فاتبعه الموصول عليه، وقتله، ضمن بقصاص أو دية، وكذا إن ضربه فقطع يمينه ثم ولى الصائل هارباً فضربة ثانية وقطع رجله مثلاً، فالرجل مضمونة بقصاص أو دية، فإن مات الصائل من سرية المقطعين - اليد والرجل - فعلى الموصول عليه نصف الدية، لأنه مات من فعل مأذون فيه - اليد - وفعل آخر غير مأذون فيه - الرجل - ولكن الفقهاء استثنوا من ذلك صوراً منها:

1. لو كان الصائل يندفع بالسوط أو العصا ونحوهما، والموصول عليه لا يجد إلا بالسيف، فله الضرب به، لأنه لا يمكنه الدفع إلا به، وليس بمقصر في ترك استصحاب السوط ونحوه .
2. لو التحم القتال بينهما، واشتد الأمر عن الضبط، فله الدفاع عن نفسه بما لديه، دون مراعاة الترتيب المذكور .
3. إذا ظن الموصول عليه أن الصائل لا يندفع إلا بالقتل، فله أن يقتله دون مراعاة الترتيب المذكور، وكذا إن خاف أن يبدره بالقتل إن لم يسبق هو به، فله ضربه بما يقتله، أو يقطع طرفه، ويصدق الموصول عليه في عدم إمكان التخلص بدون ما دفع به، لعسر إقامة البنية على ذلك .

4. إذا كان الصائل مهدر الدم - كمرتد وحربي وزان ومحصن - فلا تجب مراعاة الترتيب في

حقه بل له العدول إلى قتله لعدم حرمة .

ويمنع الضرر قبل وقوعه: وذلك يتصور إمكانية في صورتين:

الصورة الأولى: العقوبات المشروعة على المعاصي والمخالفات، فإن تشريع العقوبات وتقريرها على مرتكبي الضرر تكون عبرة وعظة للآخرين وردعاً وزجراً يمنع من تكراره، أو يقلل من فرص حدوثه، كما في قوله تعالى: " وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ " سورة البقرة 179 .

ولا تجوز العقوبة أو المجازاة على الضرر بإحداث ضرر مثله على المعتدي، فمن أفسد شيئاً أو أتلفه لا تكون عقوبته بإفساد شيء مثله عليه إذا أمكن تعويض المعتدى عليه، لأن الإفساد في هذه الحالة فيه مزيد من الإفساد والإضرار بدون فائدة منه، وإنما تكون عقوبته بأن يصلح ما أفسد، أو يعوض عنه بمثله إذا لم يمكن الإصلاح، فإن في هذا إراحة لقلب المظلوم المعتدى عليه إلا أن يعفو، فمن أزهق حياة إنسان عمداً بغير حق، فإن المعتدي لا يستطيع أن يصلح ما أفسد برد الحياة مرة أخرى، كما أنه لا يستطيع أن يعطي مثله، فتكون عقوبته في هذه الحالة القصاص، إلا إذا تنازل صاحب الحق ( ولي الدم ) إلى الدية أو العفو عن الاثنين معاً .

الصورة الثانية: إزالة آثار الضرر عن طريق التعويضات المشروعة التي تجعل الضرر كأن لم يكن، أو تخفف آثاره إلى أقصى حد ممكن، لما روي " أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين مع خادم بقصعة فيها طعام، ففرضت بيدها فكسرت القصعة، فضمها وجعل فيها الطعام، وقال: كلوا، وحبس الرسول - الخادم - والقصعة حتى فرغوا، فدفع القصعة الصحيحة، وحبس المكسورة " البخاري

#### القاعدة الثانية :- الضرر يُدفع بقدر الإمكان:

الأصل أن يزال الضرر بالكلية، وهذا ما تشير إليه القاعدة "الضرر يزال" فإن لم يتيسر دفعة وإزالته بالكلية فيزال بقدر ما يمكن لأن هذا خير من تركة كما هو مع إمكان تقليله، وعلى هذا إذا امتنع صاحب السفل من تعميره ليبنى عليه صاحب العلو بناءة، فإن صاحب السفل لا يجير على البناء، ولكن صاحب العلو أن ينفق على بناء السفل، ويرجع على صاحبه بما أنفق إذا كان ذلك بإذن الحاكم.

ومن أمثلة القاعدة أيضاً: إذا أحدث رجل في دارة شباكاً أو بناءً جديداً وجعل له شباكاً مطلقاً على المحل الذي هو مقر لنساء جاره، سواء كان ملاصقاً أو بينهما طريق فاصل، فإنه يؤمر برفع

الضرر، ويجبر على رفعة بصورة تمنع من وقوع النظر، إما ببناء حائط، أو نحو ذلك، لكن لا يجبر على سد الشباك بالكلية.

### القاعدة الثالثة :- احتمال أخص الضارين:

عند دفع الضرر أو السعي في إزالته، قد لا يتيسر ذلك إلا بالوقوع في ضرر آخر، وهنا يتحتم علينا إذا أرونا إزالة الضرر أن نقع في ضرر آخر، والمقصود دفع الضرر بالكلية، فإذا تعذر ذلك ولم يمكن، فإنه يحتمل أخص الضارين، فإذا كان الضرر المدفوع يزيد عن الضرر المترتب على ذلك دفع، وإن كان الضرر المترتب أعلى من الضرر المدفوع، لم يدفع الضرر في هذه الحالة، ولا يمكن أن يقال: إذا ترتب على دفع الضرر ضرر آخر لمن يدفع الضرر حتى وإن كان الضرر المترتب أقل من الضرر المدفوع، لأن هذا يخالف قاعدة السعي في إزالة الضرر، وقد عبر أهل العلم عن تلك القاعدة بقاعدة "احتمال أخص الضارين" أو "أهون الشرين" أو "تدفع المفسدة العظمى باحتمال أدناها" أو نحو ذلك من تلك العبارات، وهذه القاعدة لها فروع كثيرة، وقد جاء بعضها في السياسة الإلهية، فمن ذلك مل فعلة الخضر عليه السلام عندما خرق السفينة، فقد كان في خرقه لها ضرر، ولكنه فعل ذلك ليدراً ضرراً أشد، وهو مصادرة السفينة من قبل الملك الظالم الذي كان يأخذ كل سفينة صالحة غصباً، خرق السفينة كلها ضرر لا شك فيه، ولكنه بلا شك أقل ضرراً من ضياع السفينة كلها، فلم يمكن إزالة الضرر الكبير إلا باحتمال الضرر الأقل، والشيء نفسه في قتله للغلام، وهذه وتلك من السياسة الإلهية، لأن الخضر عليه السلام قال لموسي عليه السلام بعدما بين له وجه هذه التصرفات: "وما فعلته عن أمري" الكهف 82.

### القاعدة الرابعة :- إذا اجتمعت المصلحة والمفسدة فالعمل على أرجحهما:

هناك من الأمور ما لا تكون فيها المصلحة خالصة، أو المفسدة خالصة بل يجتمع الأمران في آن؛ بحيث لا يمكن التعامل مع أي منهما على انفراد، فلا تحصل إلا بتحصيل المصرة، ولا تزال المصرة أو تدفع إلا بإزالة المصلحة ودفعها، فإن كانت المصلحة أرجح من المصرة؛ فإن المصلحة تحصل، وإن أدى ذلك إلى تحصيل المصرة؛ لأنها تتغمر إلى جانب المصلحة الأكبر، وإن كانت المصرة أرجح فإنها تدفع، وإن أدى ذلك إلى دفع مصلحة هي أقل من المصرة شأنًا.

ومن فروع تلك القاعدة فداء أسرى المسلمين بالمال؛ فتحرير الأسارى المسلمين من أيدي الكفار مصلحة، بينما ذهاب جزء من أموال المسلمين إلى الكفار مفسدة، لكن مصلحة تحرير أسرى المسلمين أرجح من مفسدة ذهاب جزء من أموال المسلمين إلى الكفار فترجح، ويدخل في ذلك تبادل

أسرى، وإعطاء بعض المؤمن للكفار وإذا لم يكن توصيل المؤمن للمسلمين المحاصرين إلا بذلك الطريق، ونحو ذلك من المسائل وقد لخص ابن تيمية . رحمة الله . الكلام في هذه القاعدة بكلام بديع فقال : "الشريعة جاءت بتحصيل المصلحة وتكميلها، وتعطيل المفسد وتقليلها، وأنها ترجح خير الخيرين وشر الشرين، وتحصل أعظم المصلحتين بتقويت أديانها، وتدفع أعظم المفسدين باحتمال أديانها" إلى أن يقول . رحمة الله . : " وهذا باب التعارض واسع جداً، لا سيما في الأزمنة والأمكنة التي نقصت فيها آثار النبوة وخلافة النبوة؛ فإن هذه المسائل تكثر فيها، وكلما ازداد النقص ازدادت هذه المسائل، ووجود ذلك من أسباب الفتنة بين الأمة؛ فإنه إذا اختلطت الحسنات بالسيئات وقع الاشتباه والتلازم؛ فأقوام قد ينظرون إلى الحسنات فيرجحون هذا الجانب وإن تضمن سيئات عظيمة، وأقوام قد ينظرون إلى السيئات فيرجحون الجانب الآخر، وإن ترك حسنات عظيمة، والمتوسطون الذين ينظرون الأمرين قد لا يتبين لهم أو لأكثرهم مقدار المنفعة والمضرة، أو يتبين لهم فلا يجدون من يعينهم العمل بالحسنات وترك السيئات لكون الأهواء قارنت الآراء".

والفقه الصحيح في هذا الباب الذي يترتب عليه تقديم ما يستحق التقديم، وتأخير ما حقه التأخير، وتحصيل ما حقه أن يحصل، ودفع ما حقه أن يدفع يحتاج إلى علم صحيح بمراتب الأعمال ودرجاتها وتفاوتها، فيميز بين الضار والأشد ضرراً، والضار الخالص الذي ليس فيه نفع، والضار الذي يصحبه نفع، ويميز بين الصالح والأشد صلاحاً، والصالح الذي ليس فيه مفسدة، والصالح الذي تخالطه المفسدة، ويوازن بين الصلاح وبين الضرر عند الاختلاط، فيعرف أرجحهما وأخطرهما ويعمل على مقتضى ذلك بحسب ما تقدم من القواعد.

### أخف الضررين والفهم الخاطئ:

يظن كثير ممن لم يحقق الأمور ويدققها أن أخف الضررين هو أيسرهما في بادي الرأي؛ بقطع النظر عن أية ضوابط أخرى، والمراد بأخف الضررين هو ما كان أخف الضررين بالمعيار الشرعي، وليس بالمعيار النفسي أو العاطفي؛ فقد يكون أخف الضررين شرعاً هو الأشد أو الأصعب فيما يظهر؛ فقد منع قوم الزكاة بعد وفاة رسول الله . صلى الله عليه وسلم . فرأى أبو بكر . رضي الله عنه . قتالهم، ورأى غيره ترك قتالهم ومحاولة تألفهم ، وقد يرى الرائي من بعيد أن نصب القتال أمر شديد، وإن الأيسر منه ترك القتال مع محاولة تألفهم، وأن هذا هو الأخف ضرراً، وهو أهون الشرين لكن أبا بكر . رضي الله عنه . رفض ذلك وأبى أشد الإباء، وكان القتال عنده أخف الضررين وأهون الشرين، حتى إنه . رضي الله عنه . لم يقبل مشورة من أشار عليه، وأقسم بالله العظيم بقوله : " والله لو منعوني عقلاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله . صلى الله عليه وسلم . لقاتلتهم على منعه"، والعقال :

الحبل الذي توثق به الإبل؛ فأبو بكر .، رضي الله عنه . لا ينصب القتال على حبل لا قيمة له في ذلك الزمان؛ لكن الأمر كان متعلقاً بالخروج على الدين والامتناع عن التزام بعض أحكامه، وقد أجمع الصحابة . رضي الله عنهم . بعد تردد قصير على صواب رأي أبي بكر، وحمدوا له موقفه ذلك؛ وهذا مما يدل على إجماع الصحابة . رضي الله عنهم . على أن نصب القتال لمن أبى التزام شرائع الله أو ببعضها أخف ضرراً من تسوية مخالفة الشريعة والخروج عليها، فأخف الضررين ليس المراد به القبول بالأمر الواقع المخالف للشريعة، والإذعان له، ولكن أبا بكر . رضي الله عنه . ومعه الصحابة . إذ أخذ هذا القرار؛ فقد أعد العدة لذلك، وجهز الجيوش ورتبها وأشرف عليها حتى لا يكون هناك تقصير في الأخذ بالأسباب؛ ولذلك فقد كلل الله جهود الصحابة بالنجاح، وأغلق على المسلمين باباً عظيماً من أبواب الفتنة، لو فُتح لصاع الدين.

#### **القاعدة الخامسة : مراعاة المآل واعتباره:**

والمراد بالمآل ما ينتهي إليه الأمر ويصير في عقباه، فلا ينبغي للإنسان أن يهجم على فعل الشيء أو الإحجام عنه بمجرد ما يظهر منه من الصلاح أو الضرر في بادئ الرأي؛ بل ينبغي أن ينظر في مآله وعاقبته؛ فقد يكون الأمر ظاهره الفساد، وعاقبته ومآله غير ذلك، وقد يكون الأمر ظاهره الصلاح وعاقبته أيضاً غير ذلك، ونحن هنا لا نتكلم عن المآل الذي هو غيب عنا مما يقدره الله؛ فإن هذا مما لا سبيل إلى معرفته ومن ثم عدم القدرة على مراعاته، وإنما مرادنا التبصر في الأمور لإدراك الدلائل والقرائن الخفية المقترنة بالأمر - التي لا تبدو لأول وهلة - التي يتبين منها أن مآل الأمر يختلف عن مبادئه، واختلاف المآل مع الابتداء يتصور من وجهين: الأول: من جهة التصرف نفسه، وهذه ينبغي مراعاتها.

**الثاني:** من جهة مخالفات الناس وتقصيرهم ووقوعهم في المعاصي، وهذه لا تراعي بإطلاق، ولا تهمل بإطلاق، بل لكل حالة موقف خاص بها.

فمن الجهة الأولى ما ورد أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال لعائشة: " لولا قومك حديث عهدهم بکفر لنقضت الكعبة، فجعلت لها بايين: باب يدخل الناس، وباب يخرجون " ؛ فالرسول - صلى الله عليه وسلم - نظر في مآل هذا التصرف الصحيح المطلوب، فوجد أن العرب قد ينفرون من ذلك لحدائثة عهدهم بالكفر، فكفه هذا المآل عن ذلك التصرف الذي لم يكن فعله واجباً على الفور، ولذلك ترجم عليه البخاري بقوله: " باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشد منه " قال ابن حجر: " وفيه اجتناب ولي الأمر ما يتسرع الناس إلى إنكاره، وما يخشى منه تولد الضرر عليهم في دين أو دنيا "، ومن ذلك أيضاً عدم قتل الرسول -

صلى الله عليه وسلم - للمناققين وتعليل ذلك بقوله: " لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه "، ومن ذلك قوله - صلى الله عليه وسلم - لعمر - رضي الله عنه - عندما أراد قتل ابن صياد - على أساس أنه الدجال - قال - صلى الله عليه وسلم -: " إن يكنه فلن تسلط عليه، وإن لم يكنه فلا خير لك في قتله"، ومن ذلك ما فعله الخضر - عليه السلام - من إقامته للبيت الذي يريد أن ينقض على ما هو مذكور في سورة الكهف، ومن ذلك قبول توبة المحارب غير المقدور عليه وإسقاط العقوبات عنه؛ فإن عدم قبول توبته وعدم إسقاط العقوبات يدعوه إلى مزيد من الإفساد وسفك الدماء ونهب الأموال، فإذا كان هذا المحارب غير مقدور عليه فإن ذلك يزيد من خطره وضرره؛ بينما قبول توبته وإسقاط العقوبة عنه يدعوانه إلى المبادرة إلى التوبة والكف عن جرائمه. وبالنظر إلى ذلك المآل جاء التشريع بإسقاط العقوبة عن المحارب غير المقدور عليه إذا تاب كما قال - تعالى - : { إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك خزى لهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم \* إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم } [ المائدة: 33-34 ].

#### ومن الجهة الثانية: جهة تقصير الناس ووقوعهم في المعاصي:

قد يفعل المسلم ما يستوجب إقامة الحد عليه، وإن إقامة الحد قد تدفع المحدود إلى الهرب إلى دول الكفر، واللحاق بهم، وبالنظر إلى هذا المآل؛ فإن تحقق ذلك ممكناً قوياً في الواقع، فإن الحد يؤخر إلى حين انتفاء ذلك، وإن كان تحققه بعيداً، فلا يلتفت إليه؛ لأن ذلك الالتفات في مثل هذه الحالة مبطل للحدود كلها، وفي ذلك جاء التشريع بعدم إقامة الحدود في دار الحرب؛ فقد ورد قوله - صلى الله عليه وسلم -: " لا تقطع الأيدي في الغزو "، قال الترمذي - رحمه الله -: " والعمل على هذا عند بعض أهل العلم منهم الأوزاعي لا يرون أن يقام الحد في الغزو بحضرة العدو مخافة أن يلحق من يقام عليه الحد بالعدو؛ فإذا خرج الإمام من أرض الحرب، ورجع إلى دار السلام، أقام الحد على من أصابه".

#### القاعدة السادسة: تقديم الأهم أو الأولي:

الأمر ليست كلها على وزن واحد؛ فبعضها مهم وبعضها أكثر أهمية، وبعضها نتائجه أعظم وفضله أكثر، والقدرة على تحقيقه في الواقع أقوى، فإذا تعارضت الأمور وتضايقت، ولم يمكن تحقيقها جميعاً، إما لضيق الوقت، وإما للعجز عن القيام بذلك كله، وإما للتعارض، فإنه يقدم في ذلك الأهم أو الأولي ثم الذي يليه وهكذا، ويتحدد الأولي من خلال عدة عناصر: الفضل والأهمية،

والنتائج المتوقعة، والقدرة على التحقيق والتنفيذ؛ فقد يكون أمر أفضل من أمر، لكن لا قدرة على تحقيقه، فيكون البدء بتنفيذ الأقل فضلاً في هذه الحالة أولى للقدرة على التنفيذ؛ وقد دل على تقديم الأولى قول الرسول . صلى الله عليه وسلم . لمعاذ عندما بعثه داعياً إلى اليمن : " إنك تقدم على أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله ... الحديث"

إذ توحيد الله وعبادته وترك الشرك أولى قضية في الإسلام، وليس هناك من فائدة لعبادة آخري من صلاة أو زكاة أو حج أو غير ذلك، إذا فقد ذلك الأصل ، لذا كانت هذه القضية هي الأولى والأهم، ولذا كانت لها الأولوية في الدعوة. وقد يتفق كثير من الناس علي أصل تلك المقولة، لكنهم يختلفون في تنزيلها علي الواقع، فيكون ما حقه التقديم عند جماعة مؤخرة عند غيرهم، والعكس صحيح، ويمكن أن تقسم الأولويات في هذا الصدد إلي نوعين: أولويات مطلقة، وأولويات نسبية.

### الأولويات المطلقة والنسبية:

أما المطلقة فهي المتعلقة بالإسلام نفسه كالدعوة إلي التوحيد وأركان الإسلام، وكانهي عن الشرك وكبائر الذنوب، وهذه يحتاج إليها في جميع الأزمان والأمكنة.

أما الأولوية النسبية فهي تختلف باختلاف ظرفي الزمان والمكان، فقد ينتشر جهل بقضية شرعية في مكان وينتشر الجهل في قضية آخري في مكان آخر، فيكون الأولى في كل مكان الحديث عن قضية شرعية في مكان وينشر فساد في مكان آخر، فيكون الأولى في النهي عن الفساد في كل مكان الفساد المنتشر فيه. وتقديم الأهم أو الأولى لا يعني التقليل من أيه شعيرة أو شريعة جاءت بها النصوص ولو كانت في باب السنن والمستجدات، كل ما هناك أن ننزل هذه الأمور المنزلة التي أنزلها الشارع؛ بحث لا يكون في ذلك تعداً أو تجاوز للشرع، كما لا يكون تقريط أو تقصير عنه، وقد قسم أهل العلم أمور الشرع ومصالحة العباد إلى ثلاث مجموعات:

أولها: الضروريات، وثانيها: الحاجيات، وثالثها: التحسينات.

فالضروري مقدم عند التعارض على الحاجي، وكذلك الحاجي مقدم على التحسيني.

تلك بعض القواعد في فقه السياسة الشرعية، وهي قواعد نظرية من الممكن معرفتها لكثير من طلبة العلم وأما تطبيقها وتحقيق مناطها في الواقع فلا يقدر عليه إلا العلماء الربانيون.



المراجع:

### لمزيد من الاطلاع انظر:

1. الموسوعة الفقهية الكويتية ( وزارة الأوقاف الكويتية )
2. الوجيز في شرح القواعد الفقهية ( عبد الكريم زيدان )
3. القواعد الفقهية ( محمد عبد العزيز عزام )
4. السياسة الشرعية تعريف وتأسيس ( محمد بن شاعر الشريف )
5. موقع صيد الفوائد

## صفات القائد المسلم

بقلم الدكتور/ عبد السميع خميس العرابيد

رئيس دائرة الوعظ والإرشاد وأمين الصندوق

الحمد لله الواحد القهار فرض الجهاد على أمة النبي المختار واصطفاهم بأخلاق وصفات لا تتغير بتغير الأقطار و الصلاة و السلام على قدوتنا ورسولنا الكريم خير ولد آدم أجمعين و على الصحابة النبلاء الذين رفعوا راية الدين و على من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وألحقنا بهم في جنات النعيم، أما بعد..

فإن أعظم القادة الذين يُتأسى بهم هم رسل الله - صلى الله عليهم وسلم- أكمل الخلق إيماناً وعلماً وعملاً، وهم هداة الناس إلى كل خير، وقادة الأمم إلى ما فيه صلاحهم، ولقد أثر القرآن في ذكر صفات هؤلاء الرسل، وذكر أخلاقهم وسجاياهم وأعمالهم وصبرهم، وأكد القرآن على أن جاذبية هؤلاء الرسل لا تتبع من مغريات مادية، ولا جاه عريض أو لقب كبير، وليس عندهم نفع يملكونه فيوزعونه، وليست لهم خزائن الأرض، ولا في أيديهم الأرزاق، لقد عرض القرآن صفاتهم وجردهم من كل تلك المغريات، وواجه الأمم في ذلك، قال تعالى على لسان نوح - عليه السلام-: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدِرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ هو:31

﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ الفرقان7 فجاذبية القائد تأتي من أخلاقه وأعماله وارتباطه بالله - سبحانه وتعالى-، لا يريد جزاء ولا شكوراً، لا يجمع الأتباع بالمغريات المادية أو بالمناصب يوزعها عليهم، ولا تكون القيادة بالمداينة ومحاولة استمالة الجموع وستر أخطائها، وإخفاء أغلاطها، وتجاهل مواضع ضعفها، فالقيادة التي تمارس هذه الأمور قيادة مزيفة لا تستطيع أن تخفي عوراتها طويلاً وسرعان ما تنفض عنها الجموع.

أن الدين الإسلامي أتى شاملاً لكل جوانب الحياة صغيراً كان أو كبيراً، سواء ما هو خاص بالفرد أو بالجماعة، ومن تلك الجوانب الجانب العسكري الذي تميز الإسلام بأن حصر الهدف من استخدامه في أمرين إزاحة الباطل وإقامة شعائر الله، قال تعالى (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ) الحج: 41 تلك الجوانب ربانية المصدر ثابتة لا تتغير شاملة صقلت روح الفرد فحولت البدو الجهال المتناحرين إلى أخوة متحابين وعلماء ومجاهدين فتعلموا فيها كل شيء حتى طرق القتال وفنونه ولكن بصيغة

إسلامية يتلأأ فيها حسن خلق وجمال تعامل ورحمة و صبر ودرر أخرى كثيرة ، فتخرج منها في أول دفعاتها من حول الناس من عباده الناس إلى عبادة رب الناس فكانوا جيلاً متميزاً أذهلوا من بعدهم و انسوا الناس من قبلهم.

فنبغ منهم رجال هم صفوة الصفوة كل في مجاله: فالصديق و الفاروق وسعد بن معاذ مستشاري القائد ، وخبراء التكتيك و المناورة: فسلمان بالخذق والحباب بن المنذر بالسيطرة على الموارد، أما حسان فسيد الكلمة وأستاذ الحرب النفسية أما الزبير وعلي و حمزة فالفرسان و الإسناد السريع للقعقاع وأبن مقرن وأما قادة الجيوش فخالد و سعد وأبي عبيدة أما محمد بن سلمه وعباد بن بشر و الحارث بن أوس و أبو نائلة ففرقة المهام الخاصة.

إن هؤلاء رضي الله عنهم وغيرهم من أمثالهم كثر فكان هناك الفقهاء والخطباء و القضاة و الشعراء المهتمين والملمين بقضايا عصرهم و لقد تكرر أشباههم في من أتى بعدهم فافتدى بهديهم و لازال عالق في الأذهان قتيبة و المعتصم و نور الدين وصلاح الدين وقطز و ابن تيمية و عز الدين القسام و عمر المختار وغيرهم كثير قد يكونون اختلفوا في الزمان و المكان و الألوان واللغات وجمعهم الإسلام فكانوا جند الإسلام الذين لا يقهرون فكانوا عوناً للإسلام لا عالة عليه ونافعين لا ضارين و يقاتلون فلا يستسلمون و يثبتون فلا يفرون و يسعون لنيل رضا الله بإرافة دمائهم في سبيله لا الانتحار فهدفهم إزاحة الباطل وإقامة شعائر الله وأنى لأبعث رسالة شكرياً وإجلال للمجاهدين في كل مكان الذين جعلوا همهم وهدفهم رفع راية لا إله إلا الله و جعلوا حياتهم على أكفهم لحماية دينهم وبلدهم. ولا نبعد عن الصواب إذا قلت أن افتقاد الرجال القادة هو ما يعاني منه المسلمون، وخاصة في العقود الأخيرة، وقد شكل هذا الافتقاد أزمة إدارية .

نعم إننا بحاجة إلى قيادة تجمع بين العلم والعمل وترشد إلى الطريق الصحيح، ولا بد من إيجاد الشخصية القيادية المؤهلة لتحمل الأعباء والتكاليف والمهمات الصعبة و عندها القدرة على فرز الأولويات والتعامل الذكي مع الواقع، شخصية مؤهلة إيمانياً وعقلياً وإدارياً.

## صفات القادة في القرآن الكريم:

### 1- الرحمة:

كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم- رؤوفاً بالمؤمنين يصل قلبه بقلوبهم، وروحه بأرواحهم، يتقاسم وأصحابه السراء والضراء، إنها قيادة فيها حنان و عطف، و عندها علم بواقع الضعف والقوة عند البشر، و تعامل كلاً بما يناسبه، فهي رحيمة عادلة، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتفقد أصحابه و يتتبع أحوالهم ويسعى في حاجاتهم، وكانت الأمة من إماء المدينة تأخذ بيد النبي - صلى الله عليه

وسلم- فتتعلق به حيث شاعت في سبيل قضاء حاجة لها. إنها سهولة الخلق ويسر الدين، قال تعالى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} التوبة128

## 2- الحكمة:

قال تعالى: {لَوْقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ} [لقمان: 12] {أَلَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا} [النساء: 54] {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} [البقرة: 269] والحكيم هو الذي يصرف نفسه عن هواها، والحكمة هي وضع الشيء في موضعه وهي بهذا التعريف تشمل العلم والعمل، وحين ذكر الله - سبحانه وتعالى- في سورة الإسراء أصولاً من الأخلاق والأوامر والنواهي، عَقَّبَ على ذلك بقوله: {ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ} [الإسراء: 39]، إنها معرفة الحق وعمل الخير. ولون في الفطنة تنتهي بصاحبها إلى الرأي السديد، وبها يتغلب القائد على هواه، ولا يغلبه الحق، ولا تستفزه غيرة من رؤوس تظهر حوله، وبالحكمة يتخلص القائد من المباغطات الطارئة، ويدبر للمواقف المتغيرة.

لا تلتمس هذه الحكمة عند أصحاب البيان ولا أصحاب الكلام ، ولكنها تلتمس عند الذين يمارسون عملية تزكية النفس وتزكية الآخرين، ويقدررون على تناول الأمور بلطف وحسن تدبير، يدخلون البيوت من أبوابها، ويملكون الخارطات الصحيحة التي تريحهم بوضوح الوجهة التي تريد. إن المتعمقين في أصناف العلوم ليسوا هم الأجدر بامتلاك الحكمة إذا لم يمارسوها عملياً، وكما قيل: "عندما تكبر الحكمة تتضاءل المعلومات، حيث تبتلع المبادئ الكثير من التفاصيل، فالتفاصيل تأتي أثناء ممارسة الحياة.

## 3- القدوة الحسنة:

أقام القرآن رسل الله في مقام القدوة، قال تعالى: {لَقَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ} [الممتحنة: 4]، وقال: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} [الأحزاب: 21].

أراد الله سبحانه بذكر سيدنا إبراهيم أن يشعرنا بأن لنا في بناء الحق وهدم الباطل أصلاً

عريقاً ونسباً طويلاً عريضاً، ومتى شعر الإنسان الصحيح الفطرة بزكاء الأصل تحركت فيه نوازع النخوة .

وحيث قرر القرآن بشرية هؤلاء الرسل إنما أراد أن يتم الاقتداء بهم وأن يبطل حجة المعاندين المراوغين عن الحق، وبسبب هذه الأسوة، وهذا النموذج، كملت شمائل هؤلاء الرسل، وعظمت همتهم ونجدتهم، وألقى في نفوسهم الاستعداد لاحتتمال الآلام والصبر على العظائم، فلا يبطروهم نصر، ولا يطمعون في حياة خالية من الشدائد، يطلبون الحق ولو ضل جميع الناس كما جاء في الحديث عن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه -، عندما سأل الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن المسلم يلقى الشر قال له الرسول - صلى الله عليه وسلم - "تبقى على الحق ولو أن تعض على أصل شجرة".

#### 4. الثقة المطلقة بما يدعون إليه:

لا يساور المؤمن شك فيما يعي إليه من أهداف، قلبه مطمئن مهما اعترض سبيله من عوائق، يجابه المخالفين ولو كانوا كثرة كاثرة، أما الذين يروعهم الخطر اليسير وتخلع قلوبهم لأي طارئ، وتشغلهم المراتب وتلهيهم المعاشات فهؤلاء لا يصلحون للقيادة ولا تصلح لهم، كان القرآن يطمئن الرسل والذين معهم أنهم منصورون (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) {الروم: 47} وهكذا يجب على القادة أن يحملوا أراهم التفاؤل والصبر، خاصة في ظروف كظروف المسلمين اليوم حيث تكالب الغرب عليهم في كل الوجوه، وإنه لمن الآفات المهلكة أن تضعف الثقة بنصر الله، وأن يشيع القائد في صفوف الجماعة روح اليأس والفشل.

#### 5. الشجاعة:

وهي في أعظم ميزات القائد، سواء في ذلك الشجاعة المادية أو المعنوية، وقد جاء في الحديث: "شر ما في المرء شح هالع وجبن خالع) ومن أعظم أنواع الشجاعة أن تجابه الجمع إذا كنت تعتقد أنك على الحق وقد جابه موسى -عليه السلام- فرعون وقومه وهو وحيد وليس معه إلا أخاه هارون -عليه السلام-، وجابه الرسول - صلى الله عليه وسلم - قومه، وهو وحيد فريد في قلة قليلة، إن قرارا شجاعاً في اللحظات الحرجة يبطل قلق المترددين وحيره الحائرين ويأتي النصر بإذن الله.

## 6- الولاء للمؤمنين والبراءة من الكفار والمشركين:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مَنَّكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ {51} فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ {52} وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾ {53} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ {54} إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ {55} وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ {56} .

## 7- الطاعة :

معناه " إطاعة الأوامر و التقيد التام بالتعليمات و تنفيذها كما يجب من غير تردد ولا تدمير بكل حرص و إتقان واحتراب وإخلاص " ، ولقد أهتم القرآن (وهو دستور أهل الإسلام) بالطاعة حتى إنها ذكرت في أكثر من مئة موضع فأمرنا بالطاعة وحثرنا أشد التحذير من العصيان بشتى درجاته على القائد أو ولي الأمر، وقد روى البخاري بسنده عن نافع بن عمر عن رسولنا ؟ أنه قال: "السمع و الطاعة حق ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة".

وهنا تتضح حقيقة الطاعة لدى المسلمين فهي طاعة رغبة لا رهبة نعم فطاعة الأمير تابعة لطاعة الله و رسوله ؟ كما في الحديث " من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعني و من يعصى الأمير فقد عصاني".

ولقد ضرب الصحابة أروع الأمثلة في الطاعة و تأمل معي رعاك الله ذلك الموقف الخالد من خالد بن الوليد رضي الله عنه قائد الجيوش يوم عزله عمر بن الخطاب رضي الله عنه و ولي أبو عبيده ابن الجراح لم يحقد ولم يغضب وكان بالفعل كما يجب أن يكون عليه كل مسلم محتسب في علمه .فقد انتظر حتى نهاية المعركة ثم سلم أبو عبيدة خطاب عمر بن الخطاب وقاتل خالد تحت قيادته بعدما كان قائد الجيوش أصبح جندي مجاهد وما تغير في أخلاصة شيء لأنه يسعى لهدف أسمى، قال تعالى: ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ وعن أنس رضي الله عنه انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لغدوة في سبيل الله أو روحه خير من الدنيا وما فيها".

## 8- البعد عن المعاصي:

يستمد المسلم قوته من درجة إيمانه فإن غُطي القلب بالذنوب فإنه يصبح واهناً ضعيفاً فيكون كمن هو غارق في ظلمة هي أشد من ظلمة ليل أفقد قمره ، فتجده يفر عن المؤمنين الراغبين في رضا رب العالمين إلى العصاة الضالين المضلين فيهوى في ظلام المعاصي فيبتعد عن تأييد الله إلى تضليل هواة و الشيطان حتى يصبح جسداً بلا روح و تكون حياته و موته بلا هدف سامي فيفقد الشعور بالمسئولية تجاه أي قضية أو الصبر و الثبات في أي مواجهة فلا يخدم أمته و لا ينتصر لقضيته .

واسمع لوصية ابن عباس رضي الله عنه و هو يتحدث عن أهمية البعد عن المعاصي " إن للحسنه ضياء في الوجه و نور في القلب و سعة في الرزق و قوة في البدن و محبه في قلوب الخلق و إن للسيئة سواداً في الوجه و ظلمة في القلب و وهناً في البدن و نقصاً في الرزق و بغضة في قلوب الخلق " ورحم الله أبا الدرداء حينما قال: " إنما تقاتلون بأعمالكم " .

## 9- الثقة بأن النصر من عند الله وحده:

قال تعالى (إِن يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ) نعم... إن النصر لا يعتمد على قوة السلاح ولا كثرة العدد أو العدة ولا حتى بتأييد الناس فهذه كلها لا تعدو عن كونها أسباب فالنصر و التمكين من عند مسيبيها ومن هذا المنطلق خرجت جيوش المجاهدين وهم يعلمون أنهم ملزمون بالعمل لا بنتائج العمل فالنصر من عند الله قادم فإن صدقنا مع الله صدقنا وعده قال تعالى (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ) الصافات 171، وهاهو الرسول صلى الله عليه وسلم يزرع هذه الثقة في نفوس أصحابه وهم يعذبون أشد العذاب ويمتحنون في دينهم فيقول الوثائق من نصر الله " وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله و الذئب على غنمه " وفي معركة الأحزاب التي حركها التآمر اليهودي وقادها الحقد الكافر فأجتمع عشرة آلاف مقاتل يطمعون في القضاء على الإسلام وأهله، فكان موقف عصيب أحاط أعداء الإسلام بالمدينة من كل صوب حتى أن الصحابة لا يأمن أحدهم على نفسه عندما يريد قضاء حاجته وقد وصف الله جل وعلا في كتابه الكريم هذا الموقف فقال: (إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ) (الأحزاب : 10) وبيدأ أهل النفاق بتسكير الفتنة و زرع الشك في صفوف المؤمنين

قال تعالى: (وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا) (الأحزاب : 12) ولكن جند الله الذين باعوا أنفسهم لله و أيقنوا بأنه هو القادر و القاهر فحالهم كما وصفهم ربهم: (وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا) (الأحزاب : 22).

## 10- الصدق :

وهو علامة أهل الإيمان وضده الكذب الذي هو أساس أهل النفاق قال رسول الله: " آية المنافق ثلاث :- إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان ( متفق عليه. إن الصدق سمة لأهل الإسلام رافعي راية الجهاد في سبيل الله فهاهم كفار قريش يقرون لقائدنا أنه ما جرب عليه كذب قط بل أن أبا جهل وهو هو في الكفر و العناد يقول: " والله إن محمدا لصادق وما كذب محمد قط " بل لقد حذرنا الله جل وعلى في كتابه من خطر الكذب، فقال سبحانه (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ) ( غافر : 28 )، ولقد حذر من الكذب رسوله الكريم عليه أفضل الصلاة و السلام وبين خطرة وأمرنا بالصدق وأظهر فضله فلقد روى الشيخان عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ؟ قال ( عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وأن البر يهدي إلى الجنة و ما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً وإياكم و الكذب فإنه يهدي إلى الفجور و أن الفجور يهدي إلى النار وما يزال الرجل يكذب و يتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً )، وأقول ما قاله الله في كتابه: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (23) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ).

## 11- الأخوة :

الأخوة هي الرابطة الربانية المتميزة الدائمة قال تعالى: (الإخلاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ) إنها رابطة فريدة ارتبطت بالله فهي تجعل المسلم يضحى بنفسه حتى لا تذهب أو تتأثر حياة أخاه في الله لا لشيء سوا أنه مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وأن هدفهم و احد هو نيل الجنة. (وَبُؤْسُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ). إن هذه العلاقة لا يمكن أن يماثلها أي علاقة أو رابطة فجيش من هؤلاء رجاله فالمقاتل فيه يثق كل



الثقة بمن عن يمينه وشماله ومن هو أمامه ومن خلفه وقبل هذا يثق بمن هو مستوى على عرشه مطلعاً على خلقه.

## 12- الصبر و التصبر :

و الصبر المراد هنا هو " حبس النفس عن فعل ما تحبه و إلزامها بفعل ما تكره، و الصابرين هم من لا يذكرون في القرآن ولا في السنة إلا على سبيل التميز و المدح وإنهم أهل الله وخاصته، قال تعالى: (... وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ) وقال تعالى: ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ).

والصبر ليس في شيء دون شيء أو لشخص دون آخر فالصبر مطلب مهم لكل مسلم وخاصة للجندي في السلم و الحرب، فالصبر على مشقات الحياة العسكرية وهي المعروفة بالصرامة و النظام الدقيق و التشدد في الالتزام بالأعمال اليومية و التدريبات الشاقة و المكثفة وأدائها بكل إتقان وبشكل متواصل لتتصل الجندي الذي ما كان له أن يتجاوز كل هذا إلا بالصبر و التصبر مما يؤهله القدرة على الصبر في ميادين القتال الحقيقية وتحدي شدائدها و عظيم أهوالها. ولا أدل على أهمية الصبر من أنه ورد في أكثر من مئة موضع في الكتاب العظيم الكريم من ذلك قوله تعالى: (وَكَايِنَ مِّنْ نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ).

## 13- الثبات :

عند التقاء الصفوف ومواجهة العدو وعندما يبدأ المنافقون بخذل المجاهدين الصادقين يظهر هناك تأثير الثابتين الذين يقولون: (رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا) (الأعراف 47) فهم فروا إلى الله وطلبوا التثبيت منه وحده لأنه وحده القادر على ذلك، فلما جعلوا ارتباطهم بربهم كان جزاؤهم أن أمر الله ملائكته ووصاهم (أَنِّي مَعَكُمْ فَنَبِّئُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ ) الأنفال، وعندما نتحدث عن الثبات للجندي المسلم فنحن لا نقصد فقط القتال بكل شجاعة وصبر وأن يكون مقبل إلى العدو لا مدبراً عنه فيقاتل بكل ما لديه من طاقة و قدرة و بكل سلاح يملكه وحتى آخر رمق من حياته بل ونعني الثبات أمام كل المغريات.

#### 14- التدريب الجيد:

هو أساس كل عمل متقن و التدريب هو من الإعداد الذي أمرنا به في قوله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ) فالمقاتل الذي لم يتدرب على الصبر ولم يتعلم طرق القتال وكيفية استخدام السلاح نادراً ما يستطيع أن يتغلب على ذلك المتدرب الذي تساقطت قطرات عرقه في التدريبات الشاقة و أثقل كتفيه حمل سلاحه وعتاده واعتاد على قطع المسافات الطويلة وصعود الجبال وتجاوز الشعاب وهو معتمد على نفسه بعد الله فقط وهو صابر في السلم على تلقي الأوامر وتطبيقها بلا تدمير ولا تردد وقد أثقن استخدام سلاحه والاستفادة من كل ما حوله وهو بالإضافة لذلك قادر على التأقلم السريع مع الظروف ولا كن لابد للجندي الجيد أن يكرر تدريباته ويطورها ولا يحاول مهما كانت قدراته أن يتوقف عن التدريب لان ذلك قد يؤدي إلى نسيان ما تدرب عليه وهذا أمر قد نهى عنه قائدنا ؟ إذ يقول: " من تعلم الرمي ثم نسيه فليس منا وفي رواية فهي نعمه جدها " أي كفر بها و أنكرها.

#### 15- كتمان الأسرار و القضاء على الشائعات:

نهى الإسلام عن نشر الأسرار بل أمرنا الرسول بالاستعانة بالكتمان في قضاء الحاجات بل أنه في غزواته كان كثير ما ورى بغير المكان الذي يقصده بل لقد بعث سريه بقيادة عبدالله بن جحش في اثنا عشر من المهاجرين ومعهم كتاب أمرهم ألا ينظروا إليه إلا بعد يومين من السير وبعد ما مضى عليهم يومان في المسير وكان كل اثنين يتعقبان على بغير نظروا إلى الكتاب فإذا فيه " إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة و الطائف فترصد بها عير قريش وتعلم من أخبارها ".

#### 16- الحذر و اليقظة:

الحذر و اليقظة في السلم و الحرب فإذا كان الجندي حذراً يقظاً يقدر عدوه قدره كان من الصعب على أي عدو أن ينال منه شيء يذكر معنوياً كان أو مادياً، أو حتى أن يباغته في مكان أو زمان لا يتوقعه، فألا استهانة بالعدو وعدم اخذ الحذر منه تعني وبكل وضوح القضاء على الجندي مع أول طلقه في المعركة وحصول العدو على المفاجأة الكفيلة بالقضاء أو حتى زعزعة الثقة والروح المعنوية العالية وهنا وقفة تأمل مع صلاة الخوف فالمتدبر لكيفيتها ليعجب أشد العجب فهي تحرم على العدو المتربص انتهاز أي فرصة مهما كانت قليلة وحتى لو كانت في وقت تعبدهم ووقوفهم بين يدي الله.

## 17- المحافظة على القيادة:

ما ظنك بجسم بلا رأس أو هل تسيير السفينة بدون ربان أم هل يعقل أن يكون لسفينة واحدة أكثر من ربان، وتكمن أهمية المحافظة على القيادة في السلم و أعني في غير المعركة يعني أنه بدونه تكون هناك فوضى كبيرة وانحلال أمني خطير فتريد كل مجموعة كبيرة كانت أم صغيرة فرض رأيها ظناً منها أن ما تطرحه من أفكار أو تنفذه من أعمال هو الصواب وهذا يؤدي إلى الانقسام و الفرقة فيكون فريسة الشعب سهلة لكل طامع مستعمر الذي قد يجد دعماً من بعض المجموعات أو الطوائف ضد المجموعات و الطوائف الأخرى أما في الحرب فإن أي ضرر يمس القيادة يؤثر و بقوة في معنويات الجيش و حدوث الانقسام بين الجيش الواحد مما يعني فقدانه بالكامل أو غالب قوته، و لما هم عمر بن الخطاب للخروج من المدينة لقيادة الجيوش المتجه لحرب الفرس منعه على ابن أبي طالب و عبد الرحمن بن عوف بحجة أن قتله يعني وبكل سهولة القضاء على شوكة الدين.

## 18- العدل:

لا بد من الترابط فالعدل في القسوة والظلم مذموم ولكن العدل في الرفق و الرحمة هو المحمود والمطلوب، ولما دخل ربي بن عامر على رستم بكل ثقة وعزة المسلم فهز إيوانه فسأله رستم: ماذا جاء بكم؟ قال له ربي: " جئنا لنخرج العباد من عبادة العبادة إلى عبادة رب العباد ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام " والعدل و الرحمة ليستا مخصوصة للأصدقاء والأحباب بل هي شاملة للناس جميعاً عدوهم وصديقهم

ولكن بحدود معينة، وخذ على هذا مثلاً لما أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحه لتقدير محصول أهل خيبر ليتم تقسيمه بناءً على الاتفاق الذي تم بعد غزوة خيبر حاول اليهود كما هي عادتهم استمالته فرد عليهم " والله لقد جننكم من عند أحب الخلق إلي، ولأنتم أبغض إلى من أعددكم من القردة و الخنازير، وما يحملني - وهنا الشاهد - حبي إياه وبغضي لكم على أن لا أعدل فيكم " وهذه قمة العدل والرحمة البشرية التي لا تتأثر بالعاطفة امتثالاً لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلنَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ) (المائدة:8)

و العدل والرحمة تكون في السلم بأن تحققها بين من هم تحت قيادتك وكذلك في حال كان لك تعامل مع المدنيين تكون بالابتسامه لهم وحسن التعامل معهم و العدل بينهم و الرحمة بهم وهذا كله لا يعني الضعف و التهاون في العمل بل هو من التحبب للناس وكسب قلوبهم وتأييدهم و بالتالي حسن تعاونهم ومع الكافر يكون الأثر أكبر عندما تؤدي عملك على أكمل وجه وبأحسن تعامل

تعطي صورة حسنة عن دينك وبلدك وقطاعك وعن نفسك.

## صفات القيادي الناجح:

- 1- تكون نتيجة القائد هي نتيجة فريقه (العمل بروح الفريق).
- 2- الوضوح في معرفة وتحديد الأهداف المطلوب إنجازها.
- 3- المرونة في أوقات التغيرات الكبيرة.
- 4- يمتاز القيادي الناجح بعدم اختلاق الأعذار أو لوم الآخرين.
- 5- يمتاز كذلك بقدرته على أن يتبعه الأشخاص الذين يتعامل معهم طواعية.
- 6- لدية القدرة عن التنازل عن الأفكار القديمة إذا توفر ما هو خير منها.
- 7- القائد الناجح هو من يطور رؤية واضحة لمؤسسته وأين يريد أن تصل.
- 8- القائد الناجح هو من يستطيع أن ينمي اتجاه الفوز لموظفيه.
- 9- القائد الناجح يطلع من هم حوله عن الجديد في مجال العمل .
- 10- يتصرف القائد الناجح كما لو أن هناك من يراقبه حتى لو لم يوجد من يراقبه.
- 11- القائد هو من يتحدث عن الحلول والأتباع هم من يبحثون عن المشكلات.
- 12- يمتاز القائد بالثبات والشخصية.
- 13- القائد الناجح يتوقع الأزمات ولديه الحلول لها مسبقاً.
- 14- يمتاز القائد بالنزاهة والصدق.
- 15- القائد الناجح هو الذي يصنع الظروف ولا يكون تبعاً لها.
- 16- القائد الناجح لا يصل إلى درجة الرضى بالنفس لان ذلك عدو النجاح.
- 17- يمتاز القائد الناجح بالثبات عند الشدائد ومتمالك عند مواجهة المخاطر والصعوبات.
- 18- القائد يستطيع أن يمارس العمل حتى مع وجود الخوف.
- 19- القائد الناجح يمتاز بالسرعة والمفاجأة والتركيز.
- 20- القائد الناجح هو الذي يمدح علنا ويقيم على انفراد.

## أخلاقيات وآداب رجل الأمن

بقلم الأستاذ/ عاطف محمد أبو هرييد

عضو مجلس إدارة رابطة علماء فلسطين

لكل مهنة من المهن الإنسانية، مجموعة (أخلاقيات وضوابط أو آداب مهنية)، قد تكون مدوّنة على شكل أداة تشريعية (قانون أو نظم أو تعليمات)، أو قد تكون متعارف عليها عرفاً متوارثاً عبر السنين، فللطب، وللمحاماة، وللصحافة، وغيرها من المهن، آداب مهنية وأخلاقيات وتقاليد وآداب تحكمها نصوص القوانين، وكذلك الأعراف المتوارثة، وخاصة تلك المهن التي يتمتع أصحابها بنفوذ فعلي وصلاحيات واسعة، ويمارسون عملهم بعيداً عن أية رقابة، وعليه فلا بد من وضع قانون مهني ينظم علاقات أصحاب تلك المهن مع زبائنهم، ويحدد الأطر الأخلاقية لكل مهنة من هذه المهن. فثمة عدد قليل من المهن ينظمها نص قانوني شامل كما هو الحال في مهنة رجل الأمن ومهنة المحاماة، فكل عمل يقوم به الشرطي يندرج ضمن إطار قانوني يحدد بدقة طبيعة وأوصاف هذا العمل. وبناء على ذلك، يتصرف رجل الأمن . في مختلف النظم القانونية في العالم . في إطار ما يسمى بالأمن القضائية أو الأمن الإدارية، فيقوم بالتحري والقبض على المجرمين في حالة التلبس بالجريمة إما من تلقاء نفسه أو مستنداً على إنابة قضائية. كما أن استخدام القوة أو الأسلوب القسري أمر منظم بشكل بالغ الدقة في قوانين الإجراءات الجنائية، وكلما وجد قانون ضبطي خاص لتنظيم ذلك، فإن الحيز الاجتهادي لما تسمى بأخلاقيات العمل الشرطي سوف يضيق!! ومع ذلك، فما تزال هذه المكانة هامة وجوهرية بالنسبة لشروط ممارسة العمل الشرطي، فرجل الأمن خلال أدائه لعمله اليومي، ربما يتهرب من سيطرة التسلسل المباشر في الترتيب الهرمي أو سلسلة المراجع، ومهما كانت رتبته فهو يتمتع بصلاحيات هامة وواسعة تتسع كلما تقدم في الرتبة.

وفي مراحل ومواقف عديدة من عمله يتصرف رجل الأمن من تلقاء نفسه، لذلك نجد إلى جانب نصوص أنظمة القانون، هناك الممارسة المهنية الميدانية التي تخلق الأرضية الصالحة لتطوير أخلاقيات المهنة، كما أن الاتفاقيات الدولية ذات الصلة بحقوق الإنسان بمختلف تفرعاتها، والاتفاقيات الدولية المنبثقة عنها قد أثرت أخلاقيات وقواعد عمل المهنة الشرطة بمزيد من القواعد الضبضية، ومحددات العمل، وضوابط التصرف بما يؤمن احترام آدمية الإنسان والتقييد بقواعد الحد الأدنى من السلوك المطلوب في التعامل مع الناس: مهما كانت صفاتهم: متهمين أو مجرمين أو سجناء أو شهود أو مشتكين أو حتى عابري سبيل !!

إن العمل الشرطي هو من أخطر أنواع العمل في الدولة والمجتمع، لتعلقه بأمن وراحة وسكينة الناس وحياتهم وأمنهم وسلامتهم. ولأن العمل الأمني هو نوع من الولاية التي تخول صاحبها صلاحيات واسعة، فلا بد من توافر شروط ومواصفات فيه تؤهله للقيام بالمهام المنوطة به، فضلاً عن القدرة العقلية والجسدية، والخبرة المهنية. إن الصفات المهنية لرجل الأمن تعد أمراً ضرورياً وأساسياً يجب توفره في الفرد العامل في مهنة الأمن التي هي أخطر المهن وأهمها، وهناك جملة من الصفات الأساسية التي يجب أخذها بعين الاعتبار من خلال الانتقاء والأعداد والتأهيل. إن هدفنا من وراء البحث في الأخلاقيات المهنية لرجال الأمن، هو الارتقاء بالقانون الإلزامي إلى مستوى ضرورة أخلاقية تنطلق من داخلنا لتظهر وترجم في سلوك مهني يومي. وبلوغ هذا الهدف لا يأتي إلا بعد مرحلة طويلة من العمل الدؤوب يلعب فيها إعداد وتثقيف رجل الأمن دوراً رئيسياً، كما أن إيمان رجل الأمن بمبادئ العلاقات العامة وإحساسه بالحاجة إلى دعم وإسناد الجمهور وكسب ثقتهم ومحبتهم شروط لازمة لنجاح رجل الأمن في مختلف مهماته اليومية.

### تعريف المقصود بأخلاقيات المهنة:

يقصد بها الواجبات التي تفرضها ممارسة مهنة ما على أصحابها. ولا بد في هذا الشأن، من التذكير من أن الشريعة الإسلامية كانت السبابة في بيان ورسم الآداب الشرعية التي ينبغي أن ينهجها الإنسان في أي مجال من مجالات العمل ومنها مهنة الشرطي، فقد وضعت قواعد أخلاقية تحدد آداباً يجب على من يمارس أعماله أن يترسمها، وألا يتنكب عنها، وإلا كان أثماً شرعاً، بل إنه قد يعرض نفسه للمساءلة من الجهات التي تراقب مدى التزامه بآداب مهنته، والتي قد تؤاخذ على تقصيره في مراعاة هذه الآداب، بحرمانه من ممارسة عمله، وإلغاء ترخيصه بمزاولة هذه المهنة، وقد تحيله هذه الجهات إلى المحاكم الجنائية، إذا كان إخلاله بهذه الآداب يمثل جريمة يعاقب عليها القانون.

### شروط ممارسة العمل الشرطي :

تخضع ممارسة العمل الشرطي لشرطين أساسيين هما:

1. الفاعلية والكفاءة.

2. احترام الحريات العامة.

فعلى رجل الأمن أو الأمن أن يؤدي واجباته مراعيًا القواعد الأخلاقية التي أرسنها الشريعة الإسلامية، وإعلان حقوق الإنسان والمواطن والدستور والأعراف الدولية والقوانين بما لا يخالف الشرع الإسلامي..

وإذا كان لابد من الفاعلية، فيتعين أن لا يتم تحقيقها من خلال ممارسات مخالفة للقانون، أو تصرفات تلحق الضرر بصورة الأمن لدى الرأي العام، ومن هنا جاءت ضرورة تحديد جملة من الأخلاقيات الصارمة التي يجب أن يتحلى بها رجل الأمن..

## مبادئ الأخلاقيات الشرطية أو السلوك الفاضل لرجل الأمن:

يمكن أن تلخص هذه المبادئ والصفات بالآتي:

### 1. الإخلاص والولاء:

على رجل الأمن أو الأمن أن يدرك أن العمل الذي يمارسه والمتمثل في حفظ الأمن ومحاربة الجريمة والفساد، والسهر على حماية الناس وحقوقهم وأملهم، إنما يؤدي طاعة الله تعالى ينبغي أن يحقق فيها معنى الإخلاص والولاء اللذان يدفعانه إلى التفاني في عمله، محتسباً ذلك عند ربه مع ما فيه من المخاطر، ومن ثم فلا بد من أن يكون رجل الأمن مخلصاً في عمله وفي أداء واجبه إذ يقصد به مصلحة البلاد ورضا الله تعالى؛ والله تعالى يقول: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ (البينة/5)، ويقول تعالى: ﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤها وَلَكِنْ يَنَالُهُ النُّفُوسُ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَيَشِّرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (الحج/37)، وقال رسول الله ﷺ: "يا عبد الله بن عمرو إن قاتلت صابراً محتسباً بعثك الله صابراً محتسباً، وإن قاتلت مرئياً مكاثراً بعثك الله مرئياً مكاثراً، يا عبد الله بن عمرو على أي حال قاتلت أو قتلت بعثك الله على تلك الحال".

### 2. الطاعة وتنفيذ الأوامر الصادرة إليه:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (النساء/59).

ويقول ﷺ: "من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني (البخاري). ويقول أيضاً: "على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة (البخاري ومسلم).

### 3. الاستقامة والعدالة:

وكليهما معنى واحد فالعدالة تعني الاستقامة على طريق الحق من خلال اجتناب الممنوعات، ولما كانت العدالة نسبية يتفاوت فيها الناس فيلزم انتقاء رجال الأمن من بين أكثر الناس استقامة وعدلا لقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ النحل 90، وقوله عز وجل: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنَ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة 8).

### 4. التحلي بالوقار وعزة النفس:

يقول الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ الفرقان 63. ويقول النبي ﷺ: "أيها الناس عليكم بالسكينة فإن البر ليس بالإيضاع" البخاري.

### 5. الصبر وعدم الشعور بالضجر والملل:

إن صعوبات العمل كثيرة، وإرهاق المهمات شديد؛ مما يستوجب الصبر، وقدرة معتبرة على التحمل والصمود، والصبر جاء ذكره والأمر به في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ آل عمران 200، وقوله تعالى ﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ سورة هود الآية 115، وقوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ سورة الروم الآية 60.

### 6. المساواة وعدم التمييز:

يجب على رجل الأمن المساواة في معاملة الأشخاص أياً كانت جنسياتهم وأصولهم وظروفهم الاجتماعية، ومعتقداتهم السياسية والدينية؛ لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات 13، ثم إن هذا النص قد جعل معيار التفاضل هو (التقوى)، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾؛ لأنه بمقدار ما يكون الإنسان تقياً، يكون أقدر على امتثال شرع الله عز وجل !!.

ويقول النبي ﷺ: "يا أيها الناس إن ركنكم واحد وإن أباكم واحد وكلكم لآدم وآدم من تراب، وإن أكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي ولا لأحمر على أبيض ولا لأبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى" الخصري: نور اليقين في سيرة سيد المرسلين.



## 7. الحزم:

وهو الضبط والإتقان والصرامة، والمضي بالعمل الأمني بإتقان من غير تقصير ولا محاباة، بما يحمل الناس على احترامه ومهابته.

## 8. الرفق ولين القول وطلاقة الوجه والابتعاد عن الفضاضة والغلظة:

﴿فِيمَا رَحْمَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ آل عمران 159 .  
ويقول النبي ﷺ: "إن الله رقيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه" مسلم .  
ويقول أيضاً: "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه" مسلم .

## 9. خدمة الشعب:

يجب أن يكرس رجل الأمن نفسه لخدمة المواطن قبل كل شيء، وعند خدمة الجمهور يجب إتباع اللياقة والأدب وحسن الاستقبال في مراكز الأمن، والاحترام المطلق للناس..  
يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ الحج . 77

ويقول النبي ﷺ: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربة يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة" البخاري ومسلم .

## 10. حظر جميع أنواع التعسف والتعذيب والإهانة وكل أشكال العنف:

يجب على رجل الأمن مراعاة حقوق الموقوفين والمحتجزين، وأن يعتبر نفسه مسئولاً عن الموقوف وعن حمايته.. فيقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ الأحزاب 58 ، ويقول النبي ﷺ: "من جرد ظهر مسلم بغير حق لقي الله وهو عليه غضبان" الطبراني.

ويقول ﷺ: "صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس" الجامع الصغير .

ويقول أيضاً: "إن من أرى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق" الجامع الصغير .

11. إزام كل رجل شرطة بالتخلي عن التصرفات المحظورة والتي قد يكون شاهداً عليها، وأن يعمل على رصدها والإخبار عنها.

#### 12. الورع:

يجب أن يكون رجل الأمن ورعاً في تصرفاته، والورع هي ملكة في النفس تحمل صاحبها على اجتناب الشبهات.. فيقول النبي ﷺ: "إن الحلال بيّن وإن الحرام بيّن وبينهما مشتهيات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الحسد كله: ألا وهي القلب" البخاري ومسلم .

#### 13. التكافل والتعاون:

واجب التدخل لتقديم العون والمساعدة لمن يحتاجها حتى وإن كان رجل الأمن خارج أوقات العمل، وعلى رجل الأمن تقديم المساعدة ودرء أو منع الأعمال المنافية للنظام العام والتي تلحق الضرر بالأشخاص أو الممتلكات حتى ولو كان في أوقات إجازته أو كان خارج أوقات الدوام؛ لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ ( المائدة 2 ) .

#### 14. الصدق في القول والعمل:

وهو أمر لازم لنجاح رجل الأمن. لقوله جل وعلا: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ التوبة 113، وقوله تبارك اسمه: ﴿وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً﴾ الإسراء 80 .

ويقول النبي ﷺ: "إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً" البخاري ومسلم .

## 15. الأمانة والحفاظ على حقوق الناس وأماناتهم:

ومن ذلك قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ النساء 58 ، وقوله ﷺ " أد الأمانة إلى من ائتمنك ... " أبو داود ، وقال ﷺ : " لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له" أحمد ، ويقول ﷺ : "من استعملناه على عمل فرزقناه رزقاً فما أخذ بعد ذلك فهو غلول" أبو داود. مما سبق يبدو واضحاً أنه من الأمانة ألا يستغل الرجل منصبه الذي عين فيه؛ لجر منفعة إلى شخصه أو قرابته؛ فإن التشبع من المال العام جريمة.

## 16. العفة:

وهي الكف عما لا يحل ولا يجوز. وحيث أن طبيعة العمل الأمني تتضمن التعرف على أحوال الناس ومراقبتهم في أسواقهم، ومحلات عملهم، وهذا يستتبع الإطلاع على الأموال والأحوال الخاصة للناس، فلا بد من العفة لرجل الأمن.. فيقول النبي ﷺ : "إن هذا المال خضر حلو فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى" البخاري ومسلم . ويقول أيضاً: "ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس" البخاري ومسلم .

17. يجب أن يكون استخدام قوة السلاح عند الضرورة القصوى، ووفق ما يجيزه القانون وما يتفق والهدف المقصود..

## 18. مراعاة قواعد الفطنة والحفاظ على السرية المهنية:

لذلك ينبغي لرجل الأمن حفظ ما لديه من أسرار ومعلومات وبخاصة ما يتصل منها بخصوصيات الناس.. ويقول النبي ﷺ : "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربة يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة. البخاري ومسلم

## 19. حسن المظهر والهندام:

إنهما لازمتان لكسب احترام الناس؛ لأن الإسلام يوصي بأن يكون المرء حسن المنظر كريم الهيئة، والله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ الإسراء 70، ويقول تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ الأعراف 31، ويقول ﷺ: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة، فقال: إن الله تعالى جميل يحب الجمال" مسلم .

20. يجب تعليم هذه المبادئ في مدارس الأمن ثم التذكير بها باستمرار من خلال الإعداد الدائم: أما تنفيذها في مراكز الأمن فيقع على عاتق رؤساء الأقسام وعموم أفراد الأمن.

21. التدخل لوقف الممارسات التي تتم عن عدم احترام الأشخاص..

## الرحمة في المجال السياسي والعسكري

بقلم الدكتور/ عبد السميع خميس العرابيد

رئيس دائرة الوعظ والإرشاد وأمين الصندوق

الحمد لله الرحمن الرحيم، حمد الذين رضوه غايتهم، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، بشيراً ومبشراً برحمة ربه، وعلى الذين رضوه أسوتهم وقوتهم وبعد..

ففي حلقة ذلك الواقع المرير ووسط دياجير تلك الظلمات بزغ نور الرحمة وتعالى الأصوات بالتكبير الله أكبر الله أكبر حيّ على الفلاح حيّ على الفلاح، حتى أزيلت كوابيس الظلم، وعمي التقليد، وعصبية الجاهلية وأحدث بعد عسر يسرا وبعد ظلام نوراً، وأشرق شمس الرحمة تلف بردائها أكناف مكة، ومن حولها حتى شملت الخلائق فاستظلت بظلاله الغامرة، واستراحت من عناء المشقة التي كانت تلقاه من جبايرة الجور، وأرباب العريضة، وفساق الناس، وفي هذا يقول تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (المائدة: 15-16)، ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، (يونس: 57).

فكتاب الله تعالى رحمة لأنه بتعاليمه السمحة ينبوع جياش بكل ما تحتاج إليه البشرية من حب وإيناس، وتعاون، ومودة، ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الإسراء: 82)، ورسوله - صلى الله عليه وسلم - رحمة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: 107)، فقد كانت بعثته ميلاداً للرحمة، وتفجيراً ليناابيع المحبة، والتعاون، والإخاء وانتشالاً للبشرية من دركات الإلحاد، وعقائد الأهواء.

إن رحمته - صلى الله عليه وسلم - جعلت سادة الأقوام وعظماؤها يهرعون إلى رأيته وجعلت الفقراء والمساكين يلوذون بحماه حتى الحيوان والطير والنبات والجماد احتمي واستعان به. وقد أشاد الله تعالى بهذه الرحمة فوصفه بما وصف به نفسه فقال: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة: 128).

وسار موكب الرحمة يمخر عباب البلاد ليرسو بين حين وآخر على موائئ القلوب المؤمنة ليرسخ الإيمان وليؤكد صدق هذه الرسالة، وظل الناس ينعمون تحت ظلال هذه الرحمة بمبادئها السامية، وتعاليمها الفاضلة وأخلاقها الفياضة، ولكن العناية غلاظ الأكباد جفاة الطبائع يصرون على البقاء في مستنقع ظلام أبي جهل وأبي لهب، ويكثر عليهم أن يبقى الموج هادئاً، والهواء علياً نقياً، فأطلت علينا المدينة الحديثة بنظم، وآراء، وأفكار في التشريع والاجتماع، والتربية،

وغيرها، وشوهوا صورة التشريعات الإسلامية، ووصفوها بالجمود، والجبروت، والرجعية، وادعوا لأنفسهم الصحة والساد.

**الرحمة صفة ربانية** سرت في أرجاء الوجود ، فلم تدع منه شيئاً إلا أدركته و أحاطت به قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (لأعراف: من الآية156) ، وقد نادى الملائكة بهذه الحقيقة فقالوا: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ (غافر: من الآية7) .

وهي أيضاً صفة إنسانية كريمة، وعاطفة نبيلة، وخلق عظيم، تبعث على بذل المعروف وإغاثة الملهوف، وإعانة المحروم ، وتجعل صاحبها يتألم لا لآم الناس ، ويحس بإحساسهم ويكي لبكائهم ، فإذا رأى فقيراً أحس بالآلام فقره وأنتال بوشه ، وإذا رأى منكوباً تأثر بوطأة نكبته، وإذا رأى أرملة فقدت عائلها مد يد العون لها و كفكف دموعها وإذا رأى يتيماً ضمه لصدره، ومسح على رأسه و..... والإسلام دين رحمة يريد أن يطبع نفوس الناس بهذه الصفة حتى تمتلئ قلوبهم خيراً وبراً ، وتقويض على الدنيا رجا ، وأملاً وسعادة ، فالمجتمع الذي لا تتماسك فيه أواصر الأخوة ولا تسري في كيانه ينابيع الرحمة والرأفة مجتمع هزيل العود ضعيف القوام لا بثبت أمام الهزات التي تمر به .

**و الرحمة خلق لا يدل على ضعف** بل هو رمز فخر، ووسام شرف ، وعظيم خلق، اتصف بها أشجع الناس وأفواهم بدنأ وأرحمهم وأشدهم عطفاً ، ألا وهو سيد البشر محمد رسول الله . صلى الله عليه وسلم . الذي وصفه ربه بما وصف به نفسه فقال : ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة: 128)، بل جعله عين الرحمة في قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الانباء:107) . وكذلك كان أصحابه - صلى الله عليه وسلم - وهذا الفاروق عمر رضي الله عنه كان يوصف بالشدة ، والقسوة في جاهليته ، وبالرحمة والرأفة في إسلامه، وسيرته في ذلك معروفة .

**والرحمة كذلك خلق لا يتنافى مع التأديب اللازم** ، والعقاب المناسب ، فالله تعالى وهو أرحم الراحمين لم تتناف رحمته الشاملة الواسعة مع عقوباته التي حددها للخارجين عن دينه ، كما نرى في موقف الحاكم الصالح بشعبه فإن إيقاع العقاب بمن خالف ليس مناف للرحمة ، وكموقف الأب مع ابنه والطبيب مع المريض حينما يشق بطن المريض ويستأصل الداء فكل ذلك لا يتنافى مع الرحمة فإن من القسوة لرحمة.

**وأما القسوة فهي من صفات الأتقياء** الذين خلت قلوبهم من كل معاني الرحمة والرأفة، وقد أشار النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى ذلك فقال: (لَا تُنَزَّعُ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ) رواه الترمذي ، وهؤلاء الشرذمة من الناس أصحاب نزوة فاجرة لا تنتشبع إلا إذا قتلوا، وسفكوا، وعذبوا، وظلموا، وكان قلوبهم صخرة صماء لا تسمع بكاء، ولا تعي مناجاة، ولا تحن لصراخ وعويل، فلا فرق بينهم وبين الوحوش

الضارية المفترسة وجدير بالإنسانية أن تلقي بهذه الفئة العاتية الشقية في مغاور الكهوف والصحاري، أو في غياهب السجون والمعتقلات.

وقد وصف الله تعالى قلوب هؤلاء الأشقياء في بلادتها وعدم تأثرها بالحجارة الصماء فقال: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبَكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ (البقرة: من الآية 74)، وهذا هو السبب فيما نراه اليوم من المذابح الجماعية والحروب المدمر والتسابق في ابتكار القنابل المحرقة التي تذهب ضحيتها آفاً من الخلق إنما هو نتيجة لنزع الرحمة من القلوب وخلوها من النفوس.

يفاسي العالم اليوم ألواناً من الشرور، ويكابد أصنافاً من الآلام تقض مضاجع أمنه واستقراره وتزلزل كيان طمأنينته وسعادته، وقد ملئت القلوب رعباً وهولاً جراء عوامل التخريب والتدمير التي نسجت أيدي التهلكة والدمار، والعقلاء من الناس يتلمسون معالم الخير، والسعاة ويبدلون جهودهم المضنية في سبيل الحصول على السعادة، والاطمئنان في ديارهم، ولكن لا رخاء، ولا سعادة، ولا خير، ولا أمن، ولا اطمئنان ماداموا لا يتلمسون خطى الشرع الإسلامي وتعاليمه، لأنه القوة الكامنة لإسعاد البشرية، ولأنه مفاتيح أفعال أبواب العمل على أمن البشرية وطمأنينتها.

إن التشريع السياسي في الإسلام قد ضمن لكل إنسان حقه، وصان له شرفه وكرامته وعزته فجعل للحاكم حدوداً، وللمحكوم منهجاً، وللجهاد أحكاماً و آداباً، وللحكم نظاماً وقوانين فلا تعدي، ولا جور، ولا ظلم، ولا طغيان، ولا غدر، ولا خيانة، ولا ...

وجدير بأرباب القوى العاشمة أن يفكروا بمواقفهم الطغيانية إزاء هذه الشعوب المنكوبة وعليهم النظر والتأمل في تعاليم الإسلام، ومبادئه حتى يعودوا بالإنسانية الحائرة التي تنردى في الهاوية إلى معالم السمو والخير، والسعادة.

ولقد شرع الله تعالى للناس نظاماً كاملاً يسوس دنياهم، ويحفظ لهم دينهم فأمر بمبدأ الخلافة، والشورى، والجهاد، والسلام، والقضاء، وغير ذلك، نستعرض في هذا المجال بعضاً من هذه المبادئ موضحين أوجه الرحمة التي من أجلها فرضت على البشر.

سلطات الدولة الإسلامية ومهمتها:

أولاً: السلطة التنفيذية:

ويكون المسئول الأول فيها الخليفة بمساعدة الوزراء، والجيش، والشرطة، وجهاز الأمن للقيام بشئون الدولة وتوجيه أمورها.

ثانياً: السلطة التشريعية:

ويمثلها مجلس الشورى، ومهمته استنباط الأحكام، والقياس، ومعالجة القضايا الجزئية إذ لم تأت الشريعة بنصوص تفصيلية جزئية تفي بكل صغيرة وكبيرة، وإنما جاءت بأحكام كلية، ومبادئ عامة.

ثالثاً: السلطة القضائية:

ويتولاها القضاة، والولاة مثل قضاة الخصومات، وولاة الحسبة، وولاة المظالم.

رابعاً: السلطة المالية:

ويمثلها مسؤولوا وأمناء بيت المال، والجباة، وعمال الخراج.

خامساً: سلطة المراقبة والتقويم:

وهي سلطة الأمة جمعاء في مراقبة الحكام، والقضاة، والولاة، وتقويمهم، وينوب عن الأمة في هذه المهمة أهل الشورى، والعلماء، والفقهاء.

أوجه الرحمة في فرضية الخلافة (الأمير):

الخليفة هو الرئيس الأعظم للأمة الإسلامية الذي يطبق شرع الله عز وجل، ويدير شئون الدولة من جميع النواحي قال تعالى: " وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً "، وقال: " وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ " .

وقد بين ابن خلدون في مقدمته هذا المعنى فقال: ( وإذ قد بينا حقيقة هذا المنصب وأنه نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين، وسياسة الدنيا به تسمى خلافة وإمامة والقائم به خليفة وإمام)، ويقول صاحب الأحكام السلطانية ( إنها خلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا).



فمهمة الخليفة إذن حفظ الدين على أصوله لإبقائه نقياً سليماً من الخرافة والضلالة، وهو الذي يحمي الناس من الأعداء فيحصن الثغور، ويعد الجيوش، وهو الذي يجبي الفية والصدقات وأموال الزكاة بلا ظلم، ولا جور، ويقدر العطايا لكل من يستحق، وبالجملة فهو الذي يسوس الدنيا ويحفظ الدين. وطاعة الناس للخليفة مرهونة بإقامته للشرع، وتنفيذ أحكامه، فإذا لم ينفذ وجب الخروج عليه وقتاله ففي الحديث الشريف قال - صلى الله عليه وسلم- اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنِ اسْتَعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَانَ رَأْسَهُ زَيْبَةً) رواه مسلم كتاب الإمامة.

وليس للحاكم مطلق التصرف في وضع القوانين، وشرائع، وإنما هو مجرد مبلغ ومنفذ لأمر الله تعالى فلا استبداد، ولا طغيان قال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً} النساء105، فالحاكم الحقيقي هو الله عز وجل (إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} يوسف40، وبذا يكون الشرع قد قطع دابر كل من سولت له نفسه بالاستبداد والطغيان، كما يحفظ الشعوب من عيش الجحيم والشقاء من جراء التشريعات الوضعية.

### مبدأ الشورى:

الشورى أصل من أصول الحكم الإسلامي الذي أوجبه الله تعالى على عباده لما لهذا الأصل من فوائد عظيمة تعود على الإنسان بالنفع والخير في دنياه وآخرته. قال تعالى موجهاً الخطاب لنبيه محمد -صلى الله عليه وسلم-: (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} آل عمران159 ، فإذا كان الرسول -صلى الله عليه وسلم- المؤيد بالوحي والعناية الربانية يؤمر بالشورى فغيره من باب أولى بها.

كما وقد امتدح الله عز وجل في معرض وصفه لصفات الجماعة المسلمة التزامهم بمبدأ الشورى فقال: {وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} الشورى38. ومبدأ الشورى سبيل لمعرفة الرأي الصواب وإحرازه إذ لا تجتمع الأمة الإسلامية على خطأ، والعقول إذا كانت على عقل واحد فقلما يحالفها الخطأ.

وفي الشورى استفادة من خبرات الآخرين وتجاربهم، وبها أيضا عصمة لولي الأمر من الإقدام على أمر قد يضر بالأمة وهو لا يشعر بضررها، وبها تحس الأمة أنها صاحبة السلطان، وتذكير لرئيس الدولة بأنه مجرد وكيل عنها، وبها تطمئن الأمة على سير الخليفة في نهجه وطريقه إذ أن أغلب مجالس الشورى يكون من أصحاب الخبرات وعلماء الدين.

## السلام والجهاد:

الإسلام دين السلام والأمان، وهو يؤثر السلام ويريد أن تعلق كلمة الله تعالى من غير قتال ولا سفك دماء، ولذا نرى كثيراً من آيات القرآن الكريم تحض المسلمين على السلام وتدعو إليه قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ {البقرة 208}، وقال: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ {الأنفال 61}، ولم يجعل الله تعالى المخالفة في الدين سبباً من أسباب العدوان والحرب وهذا ما نراه في قوله عز وجل: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ {الممتحنة 8}.

وقد سمى الله تعالى ذاته بالسلام، وجعله جزءاً من الإيمان، كما وجعله تحية بين عباده قال تعالى: ﴿دَعَاؤُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأَخْرَجَ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ {يونس 10}، وأولى الناس بالله وأقربهم منه من بدأ أخاه بالسلام.

وما كان الله عز وجل ليشتيع السلام في هدايته لعباده على هذا النحو إلا ليغرس في قلوبهم، ويحفر في وجدانهم حب السلام، والعمل من أجل السلام فالقاعدة الأساسية في الإسلام هي السلام والأمان، وأما الحرب فهي حالة اضطرارية لظروف معينة، ولم يترك الإسلام هذه الحالات الضرورية بدون حدود ولا ضوابط بل أحاطها بسياس الرحمة، والرأفة، وحفها بالنظم والقوانين، والآداب بحيث تحفظ لكل حقه، وكرامته، كما وجعل لهذه الحالات الاضطرارية غاية عظمى هي أن تكون لله وفي سبيل الله فليس الحرب انتصاراً لجنس أو لغلبة، ولا عصبية لوطن، ولا سعياً لمغنم، واستشراف لمجد قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾ {النساء 76}، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ {التوبة 111}.

## أسباب بواعث الحرب:

إن ما يحز في القلب ويندى له الجبين أن نجد بعضاً من كتاب المسلمين قد سطروا صفحات سوداء بأقلامهم المسمومة التي نفثوا فيها من قلوبهم الحاقدة فلوثوا بذلك حقيقة الجهاد المقدس، وبواعثه الشريفة مقلدين أرباب الإجرام وعماليق الهوى من مبشرين، ومستشرقين أصحاب القلوب التي ملئت

حقدًا وضغينة على الإسلام، وأهله فوصفوا الفتوحات بأنها كانت إرغاماً للناس على الدخول في الإسلام، وسلباً لحرياتهم، وكرامتهم، واختلاصاً لأموالهم، وأراضيهم ويعلمون ذلك بأن أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - قد كانوا يعيشون في حرمان وجوع دفعهم لطلب القوت، والتطلع إلى ما في أيدي تلك الدول، فإياها من أقلام كاذبة، وأيدي خائنة، وقلوب حاقدة، فإن الإسلام لم يكره أحداً على الدخول فيه قال تعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} البقرة:256، ووجود طائفة من اليهود، والنصارى في بلاد المسلمين لدليل واضح على ذلك.

**إن الجهاد لم يكن للمغرم والاستيلاء على أموال الغير، وهذا مفهوم من أحاديث كثيرة وردت إلينا، فعن أبي هريرة أن رجلاً قال يا رسول الله الرجل يريد الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي عرض الدنيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أجر له فأعظم الناس ذلك وقالوا للرجل عد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لعله لم يفهم فعاد فقال يا رسول الله الرجل يريد الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي عرض الدنيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أجر له ثم عاد الثالثة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أجر له رواه الإمام أحمد في مسنده.**

**وكل من وقف في طريق الدعوة، وحاول صدها، أو التعرض لها بأذى كان حقاً على المؤمنين قطع دابره، واستنصاه قال تعالى: (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ).** وكل من آذى مسلماً، أو مسلمة في أي بقعة من الأرض، وجب قتاله، ودحره قال تعالى: (وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا) (النساء: من الآية75).

**وكل من حاول الهجوم على الدولة الإسلامية وحدودها وجب قتاله قال تعالى: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) (البقرة:190)**

### الحرب في الإسلام:

إن الإسلام دين الرحمة حريص على أن يكون السلام هو الأصل، والحرب عمل طارئ مؤقت، وحريص على رعاية الكرامة الإنسانية، ولهذا شرع من النظم ما يتفق مع سماحته، وسن من القوانين ما يكفل التخفيف من ويلات الحرب وأنات الجراح وآلام التعذيب، والقهر، فجعل للحرب آداباً، وأحكاماً تصاحبها قبل نشوبها، وأثنائها وبعد انتهائها، وأوجب على المسلم الالتزام، والتخلق بها.

أولاً/ الرحمة قبل نشوب الحرب:

أ/ إبلاغ دعوة الله تعالى:

فإن أول ما يجب على الجيوش الإسلامية تبليغ الأعداء رسالة الله عز وجل، وتخييرهم بين أمور ثلاثة الإسلام، أو الجزية، أو القتال لما ثبت ذلك في أحاديث كثيرة.

فقد روى عنه صلى الله عليه وسلم - أنه كان إذا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ثُمَّ قَالَ اغْرُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ اغْرُوا وَلَا تَغْلُوا وَلَا تَغْدِرُوا وَلَا تَمْتَلُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ أَوْ خِلَالٍ فَأَبْتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَأَقْبَلُ مِنْهُنَّ وَكَفَّ عَنْهُنَّ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَإِنْ أَجَابُوكَ فَأَقْبَلُ مِنْهُنَّ وَكَفَّ عَنْهُنَّ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى النَّحْوْلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ وَأَخْبِرُهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا فَأَخْبِرُهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللَّهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفِيءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلِّمُهُمُ الْجَزِيَةَ فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَأَقْبَلُ مِنْهُنَّ وَكَفَّ عَنْهُنَّ فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ وَقَاتَلَهُمْ وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَلَا ذِمَّةَ نَبِيِّهِ وَلَكِنْ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ فَإِنَّمَا أَنْ تُخْفِرُوا دِمَمَكُمْ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ فَلَا تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِكَ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِمْ أَمْ لَا) رواه مسلم كتاب الجهاد والسير.

ب/ الإنذار والإعلان عن الحرب قبل الهجوم:

يوجب الإسلام الإعلان عن الحرب قبل بدئها وعدم المباغته قال تعالى: (وَإِذَا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ) (الأأنفال: 58) وأما النظم الوضيعة فتعتبر المباغته من البراعة العسكرية التي تتباهى وتتفاخر بها.

ثانياً: الرحمة أثناء الحرب:

1- تحريم قتل المدنيين سواء من الرجال أو النساء أو الأطفال الذين ليس لهم علاقة تنظيمية في الجيش المحارب: قال تعالى: {لَوْ قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} البقرة 190، وعن ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: أَنَّ امْرَأَةً وَجَدَتْ فِي بَعْضِ

مَعَارِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقْتُولَةً فَأَنْكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَتْلَ النَّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ) رواه البخاري.

وكان صلى الله عليه وسلم يوصي جيشه في غزواته فيقول : انْطَلِقُوا بِاسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا تَقْتُلُوا شَيْخًا قَانِيًّا وَلَا طِفْلًا وَلَا صَغِيرًا وَلَا امْرَأَةً وَلَا تَعْلُوا وَلَا تَضْمُوا غَنَائِمَكُمْ وَأَصْلِحُوا وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ " رواه أبو داود.

هذا هو آداب الإسلام ورحمته وأما حروب اليوم وما أدراك ما حروب اليوم، فإنها لا تبقى ولا تذر. إن قتل المدنيين لهو الغاية الأولى في الحرب ويا ليت وقف الأمر عند ذلك بل أقيمت المذابح والمجازر الجماعية لآلاف من القرى والمدن مثل مذبحه دير ياسين في فلسطين ومذبحة صبرا وشاتيلا وتل الزعتر في سوريا وبعض من المدن الإسلامية في الهند وغيرها من الدول.

## 2- تحريم التخريب والتعذيب بالنار:

قال صلى الله عليه وسلم: " لَا تُعَذِّبُوا بَعْدَابِ اللَّهِ " رواه أبو داود ، ولكن إذا قاتل الأعداء بالنار جاز لنا قتالهم بها قال تعالى: {وَإِنْ عَاقِبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوْقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ} النحل126 وحروب اليوم ودول اليوم قائمة على التسابق والتعالي في مجال التسليح الناري والذري الذي يحرق الأخضر واليابس فكم من أناس شوهدت أجسامهم ووجوههم وذهبوا ضحية الإجرام الطغيان وكم من مدينة هدمت على رؤوس ساكنيها وأصبحت صحراء قاحلة ترن في جوانبها صيحات الذئاب وعواء الكلاب .

## 3- النهي عن المثلة:

قال تعالى: {وَإِنْ عَاقِبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوْقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ} النحل126، وقد كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ثُمَّ قَالَ اغْرُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ اغْرُوا وَلَا تَعْلُوا وَلَا تَعْدُوا وَلَا تَمْتَلُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا رواه مسلم كتاب الجهاد والسير.

وروى البخاري رحمه الله بسنده قَالَ نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ النَّهْبِ وَالْمُتْلَةِ" رواه البخاري كتاب المظالم، وأما حروب اليوم وجيوشها فإنهم يدخلون على البيوت كالوحوش الكاسرة يسلبون ما في البيت من نعيم وينهبون كرامات النساء كالأوغال الضارية بلا رافة ولا رحمة .

## 4- النهي عن الغلول:

وهو الأخذ من الغنيمة ففي الحديث(... ولا تغلوا....) كما نهى صلى الله عليه وسلم (عن النهبي والمثلة) وهذا دليل على أن غاية الجهاد ليست لغرض مادي.

## 5- الاستجابة إلى السلام:

قال تعالى: "لَوْ اِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ" {الأنفال: 61 ، بشرط أن يكون المسلمون على قدر من القوة وإلا فلا ينبغي المودعة قال تعالى: {قَلَّا تَهْتَبُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَالَكُمْ} محمد 35 .

## 6- الكف عن القتال إذا كف عنه الأعداء:

قال تعالى: ( فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ } البقرة 193

## 7- عدم قتل رسول العدو أو مفاوضة :

حرم الشرع قتل رسول العدو أو مفاوضة ودليل ذلك عندما جاء رسولا مسيلمة الكذاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أَتَشْهَدَانِ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ قَالََا نَشْهَدُ أَنَّ مُسَيْلِمَةَ رَسُولُ اللَّهِ فَقَالَ لَوْ كُنْتُ قَاتِلًا رَسُولًا لَضَرَبْتُ أَعْنَاقَكُمْ قَالَ فَجَرَّتْ سُنَّةٌ أَنْ لَا يُقْتَلَ (الرَسُولُ).

## ثالثاً: الرحمة بعد الحرب:

### 1-احترام العهود والمواثيق وتحريم الخيانة ونبذ العهد:

قال تعالى: ( وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ) (النحل:91) فالإسلام يجب الوفاء بالعهد مهما كانت قوة الظروف ومهما كانت مظنة الخسارة العاجلة وأما دول العصر الحديث عصر التقدم والرقي فنقد العهود والمواثيق واستباحة الغدر والكذب يعد عندهم من الحنكة السياسية والدهاء السياسي تماماً مثلما فعل اليهود في لبنان عندما أخذ الفلسطينيون منهم العهود، والمواثيق على حماية وحفظ المخيمات الفلسطينية وعندما خرج المقاتلون الفلسطينيون من لبنان انقض الذئاب على الفريسة السائغة فنصبوا المشانق وصوبوا الرصاص تجاه الصدور، وجعلوا بيوت المخيمات تجري من تحتها الأنهار....أنهار الدماء البريئة وثم قام بجرف الجثث الهامدة التي انتشرت في شوارع المدن تنهشها الكلاب وتطوف حولها الذباب والحشرات وستبقي مذابح المخيمات وصمة عار في جبين أبناء القردة والخنازير قال تعالى: {الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ } {الأنفال: 56 ، وقال: {الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ } {الرعد:25.

إن الوفاء بالعهود والمواثيق لهو رمز الفخر والعزة في التشريع الإسلامي.

## 2- الإحسان إلى الأسرى والبر بهم:

حض الإسلام على الرحمة بالأسير والبر به واعتبره قرينة إلى الله عز وجل قال تعالى ﴿وَيُطْعَمُونَ  
الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا  
{الإنسان، 9، وقد كانت معاملة النبي صلى الله عليه وسلم للأسرى تفيض بالبر والرحمة والإحسان ولم  
يؤثر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قتل أسيراً إلا إذا كان قد أهدر دمه من قبل وقد أمر صلى الله  
عليه وسلم أصحابه يوم بدر بإكرام الأسارى وكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغذاء.

وقد رويت أحداث كثيرة عن عفو النبي صلى الله عليه وسلم عن الأسرى والرحمة بهم حتى مع أشد  
خصومة كيداً وعداوة وحرماً للإسلام والمسلمين، فقد وصل إلى علم النبي صلى الله عليه وسلم أن  
ثمامة بن أثال الحنفي سيد اليمامة ينوي اغتياله فأسره محمد بن سلمة رضي الله عنه في إحدى  
سراياه وجاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أحسنوا أساره وابعثوا إليه بطعامه وأمر له بناقة  
يأتيه لبنها مساء وصباحاً وقد دعاه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام فأبى وقال له : إن تريد  
الفداء فسل ما شئت من المال فأطلق النبي صلى الله عليه وسلم سراحه من غير فداء ثم دخل بعد  
ذلك في الإسلام، كما عفي صلى الله عليه وسلم عن بنت حاتم الطائي وغيرهم، وبهذا ضمن  
الإسلام للأسير حياة بعيدة عن غضب القلب المشتمل لحظة المعركة فلربما كانت المعاملة الحسنة  
سبباً لدخول بعض الأسرى في الإسلام وهى الغاية التي يحرص عليها كل مسلم.

## 3- الجزية:

قال تعالى : ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا  
يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ { التوبة 29.

الجزية في الإسلام لم تكن ضريبة كالضرائب الباهظة التي يضعها الفاتحون ويقرونها ويلزمون بها  
من تغلبوا عليهم، وإنما القصد من الجزية هو مقابل ما يؤدي المسلمون من الزكاة مساهمة في نفقات  
الدولة التي تحميهم كما تحمي رعاياها المسلمين سواء، والتي توفر لهم العدل المطلق بدون تفریق  
بينهم وبين المسلمين وهذا ما سار عليه أمراء المسلمين في معاملة أهل الذمة فتأمل عهد خالد بن  
الوليد رضي الله عنه مع أهل دمشق فقد كتب (هذا ما أعطى خالد بن الوليد أهل دمشق إذا دخلها  
أعطاهم أماناً على أنفسهم، وأموالهم، وكنائسهم، وسور مدينتهم لا يهدم ولا يسكن شيء من دورهم،  
لهم بذلك عهد الله وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذمة الخلفاء الراشدين لا يعرض لهم إلا  
بخير إذا ما أعطوا الجزية) فتوح البلدان، للبلاذري، كما ويجب الإحسان إليهم والمعاملة بالحسنى في  
جمع الجزية منهم.

أما إذا لم تستطيع الدولة حمايتهم ردت إليهم أموالهم كما فعل أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه عند مصالحته أهل الشام وقد جبي منهم أموال الجزية وعلم أن الروم قد جمعوا له فاشتد ذلك عليه (فكتب رضي الله عنه إلى كل وال ممن خلفه في المدن التي صالح أهلها يأمرهم أن يردوا عليهم ما جبي منهم من الجزية والخراج، وكتب إليهم أن يقولوا لهم إنا رددنا عليكم أموالكم لأنه قد بلغنا ما جمع لنا من الجموع وأنكم قد اشتروا علينا أن نمنعكم وإنما لا نقدر على ذلك وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم، ونحن على الشرط وما كتبنا بيننا وبينكم إن نصرنا الله عليهم فلما قالوا ذلك لهم وردوا عليهم أموالهم التي جبوها قالوا ردمكم الله علينا ونصركم عليهم.

ولعل هذه المعاملة الحسنة هي التي دفعت أفواجا من الناس لدخول في دين الله تعالى، يقول منتسيكو في كتابه أصول الشرائع: إن الجزية التي فرضها الإسلام كانت من أسباب سهولة الفتح لأن الشعوب التي كانت تخضع لسلسلة لا تنتهي من المغارم التي فرضها جشع الأباطرة آثرت أن ترضى بأداء جزية خفيفة يمكن تسديدها بسهولة وتسليمها بسهولة، ووجدت نفسها سعيدة بأن تدبيل لأمة متبريرة - ويقصد المسلمين - تعاملها على هذه الصورة خيراً لها من أن تدين لحكومة فاسدة مستبدة لا يشعر الناس في حكمها إلا بويلات من العبودية. نقلاً عن مجلة الأزهر.

وبعد فإننا نرى أن الإسلام قد هذب فكرة الحرب، وارتقى بأسبابها ولو أن العالم نهج نهجه، وسلك سبله لعاش في أمن ورخاء، وطمانينة ولاتجهت مساعي الناس وجهودهم لرفاهية البشر وسعادتهم، إلا أن الحقيقة المرة إنهم قد غفلوا عن هذه الآداب والشرائع.

فأين هم من أساليب العنف، والقسوة التي يسلكونها في حربهم الرعناء، وأين هم من أسلحتهم الفتاكة التي أرعبت البشر وجعلتهم ينتظرون ميتهم في كل لحظة وكل حين.

وأين هم من طرق الغدر، وأساليب الخيانة، والإجرام التي تدوقها الشعوب البائسة.

وأين هم من الرحمة والرأفة، وقد نصبوا للشعوب مجازر وأحداثاً دامية.

ثم أين هم من دعواهم الرحمة بالحيوان، وكان الإنسان أحق بها قولاً وعملاً ليت هؤلاء الجبابرة يُقلبون صفحات التاريخ الإسلامي المشرق ليتعلموا منه مبادئ الحرب والسلام عليهم يسلكون مسلكه، وينهجون منهجه فيكون في ذلك الرخاء والسعادة والأمان للبشرية.



## فقه الموازنات والأولويات في ضوء السياسة الشرعية

بقلم الدكتور/ حسن علي الجوجو

رئيس دائرة القضاء الشرعي برابطة علماء فلسطين سابقاً

من الخصائص العامة للتشريع الإسلامي الشمول والتوازن، ونقصد بالشمول: أن الإسلام يعالج جوانب الحياة كلها: العقيدة والأخلاق والعبادات والمعاملات والسياسة والحكم.... وغير ذلك من جوانب حياة البشر.

فهو عقيدة وشريعة، مصحف وسيف، دين ودولة، ومنهاج حياة متكامل.

كذلك فإن الشمول في التشريع الإسلامي يراعي مراحل الفرد قبل ولادته وبعد موته كذلك فإن هذا الشمول يمتد لمعالجة الدنيا والآخرة.

ويراعي احتياجات الفرد والمجتمع بشكل متناسق ليس بينها تعارض.

ومن صفات هذه الشمولية أنها متناسقة متوازنة لا يطغى فيها جانب على جانب آخر، بل تنظم كل جانب من جوانب هذا الكون في توازن واعتدال، بلا زيغ أو ميل ولا إفراط أو تفريط فهي:

\* توازن بين حقوق الأفراد وحقوق المجتمع.

\* توازن بين متطلبات الروح ورغبات الجسد.

\* توازن بين الواقعية والمثالية.

\* توازن بين الاهتمام بشؤون الدنيا وشؤون الآخرة.

\* توازن بين الإسراف والتقتير.

\* توازن بين حقوق الله وحقوق النفس.

\* توازن في معالجتها وتنظيمها بكل جوانب من جوانب الحياة.

\* توازن بين دعاة المذهبية الضيقة، ودعاة اللامذهبية المفرطة.

\* توازن بين أتباع التصوف وأي انحرف وابتدع، وأعداء التصوف وإن التزم واتبع.

\* توازن بين دعاة الانفتاح على العالم بلا ضوابط، ودعاة الانغلاق على النفس بلا مبرر.

\* توازن بين المحكمين للعقل وإن خالف النص القاطع، والمغيبين للعقل ولو في فهم النص.

\* توازن بين المقدسين للتراث، وإن بدا فيه قصور البشر، والمغيبين له وإن تجلت فيه روائع الهداية.

\* توازن بين الداعين للسياسة على حساب التربية، والغافلين عنها حتى تسقط في أيدي غيرهم بعد

نضجها.

\* توازن بين المستغرقين في الحاضر الغائبين عن المستقبل، وبالغين في التنبؤ بالمستقبل كأنه كتاب يقرؤونه.

توازن بين المقدسين للأشكال التنظيمية وكأنها أوثان تعبد، والمتحللين من أي عمل منظم كأنهم حبات عقد منفرد.

\* توازن بين المسرفين بالتفاؤل متجاهلين العوائق والمخاطر، والمسرفين في التشاؤم فلا يرون إلا الظلام ولا يرقبون للظلام فجراً.

\* توازن بين المبالغين في التحريم كأنه لا يوجد في الدنيا شيء حلال، والمبالغين في التحليل كأنه لا يوجد في الدنيا شيء حرام.

\* توازن وتوازٍ في كل المتقابلات بحيث لا تتناقض ولا تتعارض، بل تترايط وتتعاوض، لتحقق هدفاً مشتركاً وتلتقي على غاية واحدة، وتتسجم مع فطرة الإنسان الذي فطر الله الناس عليها.

#### مصادر التشريع الإسلامي متعددة بما يحقق المصلحة:

لا شك أن صلاحية التشريع لكل زمان ومكان واستجابته لمصالح الناس حسب المتغيرات المختلفة تتبع من تعدد مصادره سواءً كانت هذه المصادر أصلية وهي القرآن الكريم، والسنة النبوية، والإجماع، والقياس، أو تبعية، كالأستحسان والأستصلاح، والعرف، وقول الصحابي، وشرع من قبلنا، والمصلحة.... وغيره.

فالمصادر التبعية كالمصالح المرسلة وهي: التي ثبت اعتبارها بدليل إجمالي وشهد لها الشارع بالصحة والاعتماد، منفوض الجهاد والتعاون على الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرضها الله تعالى لتحقيق مصالح العباد.

أو تلك التي سكت عنها الشارع ولم يشهد لها بالصحة والاعتبار ولم يشهد بالبطلان والإلغاء ومنها جمع الصحف التي كتب عليها القرآن الكريم في مصحف واحد، وفرض الضرائب إذا خلا بيت المال ما يسد حاجة المسلمين - تقييد المباح.

وسد الذرائع: وهي كل طريقة أو وسيلة تؤدي إلى أمر من الأمور أو شيء من الأشياء، وسواء كان هذا الأمر مصلحة أو مفسدة حلالاً، أو حراماً، خيراً أو شراً، وعليه فالوسيلة قد تكون مباحة أو مندوبة أو واجبة أو مكروهة أو محرمة. وقد تؤدي الوسيلة المباحة إلى أمر مباح وقد تؤدي نفسها إلى أمر غير مشروع.

فالذرائع هي الطرق المفضية إلى أمور أيا كانت هذه الأمور.

والذرائع كما نرى وسائل ممنوعة يجب سدها، وأخرى غير ممنوعة يجب فتحها .  
ولكن الذرائع إذا أطلقت تغلب عليها المعنى السلبي ويتأكد هذا إذا سبقها كلمة سد، فسد الذرائع هو  
منع الوسائل المؤدية والمفضية إلى مفسدة.

وتحقيق المصالح ودرء المفاصد يطلق عليها الفقهاء السياسة الشرعية.

أو تعهد الأمر بما يصلحه وإن لم يرد به نص خاص ولا النقد عليه إجماع، ولا شهد له قياس.  
يقول ابن عقيل ( السياسة ما كان فعلاً - إجراء أو تنظيم أو تصرف فعلي - يكون معه الناس  
أقرب إلى الصلاح ( وهو ما يشمل جلب مصلحة أو درء مفسدة) وأبعد عن الفساد وإن لم يضعه  
الرسول ولا نزل به وحى.

ويؤكد الإمام ابن القيم هذا المعنى بان التشريع الإسلامي يضع بين يدي ولى الأمر سلطة تقديرية  
لتصريف الأمور للأمة حسب ما يقتضيه العدل والمصلحة، شريطة ألا يخالف روح التشريع العامة،  
ومقاصده الأساسية، ولو لم يرد بهذه النظم والإجراءات نص خاص، أو انعقد عليه إجماع، ولا شهد  
له قياس.

ويقول عالم آخر ( إن السياسة القائمة على الاجتهاء بالرأي من أهله في استنباط الحلول الملائمة  
لمقتضيات كل عصر، بمشاركة أهل الخبرة والتخصص. جزء من الدين بل هي العدل بعينه؛ لأن  
السياسة الشرعية موافقة لما جاء به الدين، بل هي (عدل) الله ورسوله، ولو لم ينطق بها الشرع، ما  
دامت تقضي إلى مقصوده من إقامة الحق، وتحقيق العدل والقسط الذي أنزل الله تعالى الكيبت،  
وأرسل الرسل.

" لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط، وأنزلنا الحديد فيه بأس  
شديد، ومنافع للناس، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب، إن الله قوي عزيز"(الحديد آية 25)

### السياسة الشرعية تجسيد لصلاحية التشريع:

السياسة الشرعية تنظم بها مرافق الدولة، وتدبر بها شؤون الأمة وهي متفقة مع روح الشريعة  
الإسلامية، نازلة على أصولها الكلية، محققة إغراضها الاجتماعية، ولو لم يدل عليها شيء من  
النصوص التفصيلية الجزئية الواردة في الكتاب والسنة وعد دلالة شيء من النصوص الواردة في  
الكتاب والسنة على أحكام السياسة الشرعية تفصيلاً لا يضر ولا يمنع من شرعيتها.  
يستطيع ولى الأمر الذي وقف على أسرار التشريع وبمعاونة العلماء العاملين إصدار التشريعات في  
كل جديد لا نص فيه ولا إجماع، مهما سكت الشارع عنه بعد تقديره بميزان الشريعة والمصلحة  
المعتبرة.

## حكم الأخذ بها:

يجب العمل بها لأنها أساس في إظهار الحق وحل مشاكل الأمة وتحقيق مصالحها يقول ابن فرحون المالكي (يجب المصير إليها والاعتماد في إظهار الحق عليها، حيث أنها باب واسع تضل فيه الأفهام/ وتزل فيه الأقدم/ وإهمالها يضيع الحقوق، ويعطل الحدود).

## أنواع السياسة الشرعية:

سياسة ظالمة/ فالشرع يجرمها.

سياسة عادلة/ تخرج الحق من الظالم، وتدفع كثير من المظالم، وتردع أهل الفساد، ويتوصل بها إلى المقاصد الشرعية.

## شروط الأخذ بالمصالح في ضوء السياسة الشرعية:

- ألا تنافي المصلحة أصلاً من أصول الشرع، ولا دليلاً من أدلته فلا تخالف المصادر الأصلية، ولا تتقدم عليها، وان تكون ملائمة لمقاصد الشرع وغير مخالفة له.
- أن تكون معقولة إذا عرضت على العقول تلقتها بالقبول (معللة)
- أن يكون الأخذ بها مؤدياً إلى حفظ أمر ضروري، لأن رفع الحرج لازم في الدين، لأنه ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. فالمصلحة من الوسائل لا من المقاصد.
- تكون مصلحة عامة أن يستفيد منها عدد كبير.
- أن تكون مصلحة حقيقية لا مصلحة متوهمة.
- أن يقوم بتقدير المصالح أهل الخبرة، والتخصص العلمي الدقيق، في كل شأن من الشؤون العامة والخاصة، مع العلماء المجتهدين.
- أن يؤخذ بعين الاعتبار تقدير الظروف الملائمة للوقائع أو للأمة، بشكل عام، السياسية منها والاقتصادية والاجتماعية، لوجوب المآل المتوقع من التطبيق، كيلا تكون النتائج مجافية لمصالح الأمة الحقيقية في تلك الظروف.

ولهذا لا بد من الأخذ بعين الاعتبار تغير الظروف؛ لأن للأحوال والملابسات أثراً في تشكيل علة الحكم، تبعاً لاختلاف نتائج التطبيق، باختلاف الظروف، والعبرة بالنتائج، ولا سبيل إلى تقديرها إلا عن طريق الخبراء والمختصين والعلماء.

### فقه الموازنات والأولويات على ضوء ما تقدم:

المقصود بفقه الموازنات: " النظر في مآلات الأفعال، من حيث تحقيقها مصلحة تستجلب، أو مفسدة تدرأ ".

فمآل تطبيق النص له أثر في تكيف الفعل، ووصفه الشرعي، فيصبح غير مشروع في ظل ظروف معينة بالنظر إلى نتيجته غير المشروعة الواقعة أو المتوقعة، ويصبح مشروعاً إذا كانت نتيجته مشروعة بل واجباً إيجاداً وتحصيلها إذا اقتضت الحاجة الماسة للأمة ذلك.

وفي هذا المعنى يقول الإمام العز بن عبد السلام: " اعلم أن الله شرع لعباده في تحصيل مصالح عاجلة وأجلة تجمع كل قاعدة منها علة واحدة. ثم استثنى منها ما في ملابسته مشقة شديدة أو مفسدة تربي على تلك المصالح. وكذلك شرع لهم السعي في درء مفسدات في الدارين أو في أحدهما تجمع كل قاعدة منها علة واحدة. ثم استثنى منها ما في اجتنابه مشقة شديدة أو مصلحة تربي على تلك المفسدات، وكل ذلك رحمة بعبادة ونظر لهم ورفق، ويعبر عن ذلك كله بما خالف القيا وذلك جار في العبادات والمعاضات وسائر التصدقات.

و المقصود بفقه الأولويات: وضع كل شيء في مرتبته، فلا يؤخر ما حقه التقدم، أو يقدم حقه التأخير، ولا يصغر الأمر الكبير، ولا يكبر الأمر الصغير.

### ومن صور فقه الموازنات ما يلي:

الموازنة بين المصالح بعضها ببعض، من حيث حجمها وسعتها، ومن حيث عمقها وتأثيرها، ومن حيث بقائها ودوامها.. وأيها ينبغي، ا، يقدم ويعتبن وأيها ينبغي، ا، يُسقط ويلغى.

### فعلى سبيل المثال:

- تقدم المصلحة الشرعية على المصلحة المرسلية.
- تقدم المصلحة الثابتة على المصلحة المظنونية.
- تقدم المصلحة الكبيرة على المصلحة الصغيرة .
- تقدم مصلحة الكثرة على مصلحة القلة.
- تقدم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة.
- الموازنة بين المفاصد بعضها وبعض، وأيها يجب تقديمه، وأيها يجب تأخيرها أو إسقاطها.
- وعليه فالمفسدة التي تعطل ضرورياً، غير تعطل حاجياً، غير التي تعطل تحسينياً.
- والمفسدة التي تضر بالمال دون المفسدة التي تضر بالنفس، وهي دون التي تضر بالدين والعقيدة.
- فالمفاصد متفاوتة في أحجامها وآثارها وأخطارها وهناك قواعد، يهتدي به في الموازنة بين المفاصد.
- لا ضرر ولا ضرار .
- الضرر يزال بقدر الإمكان .
- الضرر لا يزال بضرر مثله أو أكبر منه.
- يرتكب أخف الضررين وأهون الشرين .
- يتحمل الضرر الأدنى لدفع الضرر الأعلى .
- يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام .
- الموازنة بين المصالح والمفاصد إذا تعارضتا بحيث متى تقدم درء المفسدة على جلب المصلحة، ومتى نفتقد المفسدة من أجل المصلحة.

### فعلى سبيل المثال:

- فإن درء المفسدة أدنى من جلب المصلحة.
- المفسدة الصغيرة تفتقد من أجل المصلحة الكبيرة.
- تفتقد المفسدة العارضة من أجل المصلحة الدائمة.
- لا تزال مصلحة محققة من أجل مفسدة متوهمة.

وهذا كله يعتمد على الفقه الشرعي الذي يقوم على فهم عميق لنصوص الشرع ومقاصده وحكمته، حيث إن الشرع جاء لتحقيق مصالح العباد في المعاش والمعاد برتبها المعروفة: الضرورية، الحاجية والتحسينية.

ويعتمد ذلك على دراسة فقه الواقع، وهذا الفقه لا بد أن يكون مبنياً على الواقع المعاش دراسةً دقيقةً ومستوعبةً لكل جوانب الموضوع، معتمدةً على أصح المعلومات وأدق البيانات والإحصاءات الموثقة العلمية.

والمتدبر للقرآن الكريم، مكيه، ومدنيه، يجد فيه أدلةً كثيرةً على فقه الموازنات والترجيح:

ففي مجال الموازنة بين المصالح قوله تعالى على لسان هارون لأخيه موسى عليه السلام: ( قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي ) (طه: 194)

فنبى الله هارون خشي لو خرج أن يتبعه قومٌ ويتخلف مع العجل قوم، وربما أدى ذلك إلى سفك الدماء وخشي إن زجرهم أن يقع قتال ويسفك الدماء، وقد أمره موسى بالبقاء معهم.

وفي الموازنة بين المفساد والأضرار نج قوله تعالى على لسان الخضر في تعليل خرق السفينة ( أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان ورائهم ملكٌ يأخذ كل سفينةً غضباً ) (الكهف: 79)

وفي هذا، من الفقه العمل بالمصالح إذا تحقق وجهها، وجواز إصلاح كل المال بإفساد بعضه. فلأن تبقى السفينة لأصحابها وبها خرق أهون من أن تضيع كلها، فحفظ البعض أولى من تضييع الكل.

ومنه قوله تعالى: ( يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه، قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ) (البقرة: 217) وفيه أن الله عز وجل عد القتال في الشهر الحرام كبير، ولكن لدرء ما هو أكبر من الصد عن سبيل الله والكفر به وإخراج أهله منه.

ويضرب مثال على فقه الأولويات: أن مهمة الرسول (عليه الصلاة والسلام) في العهد المكي كانت محصورة في الدعوة إلى الله وتربية الجيل المؤمن على أصول العقيدة وترسيخ التوحيد، وعبادة الله وحده، ونبذ الشرك واجتتاب الطاغوت والتأسي بفضائل ومكارم الأخلاق، وكان القرآن الكريم في تلك

المرحلة يزكي هذا الاتجاه، فلم يشغل المسلمون في هذه الآونة بالمسائل الجزئية، ولا بالأحكام الشرعية.

ولم يشرع للمسلمين أن يحملون فؤوسهم ليحطموا الأصنام وهم يرونها كل يوم حول الكعبة، ولم يأذن لهم أن يشهروا سيوفهم دفاعاً على أنفسهم، ومقاومة لعدو الله وعدوهم. حيث أن لكل شيء أوانه المناسب، وإذا استعجل بالشيء قبل أوانه فالغالب أن يضر الناس ولا ينفع.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين



| م  | اسم المرجع  | مؤلفه                     |
|----|---|---------------------------|
| 1  | السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية   | ابن تيمية                 |
| 2  | الطرق الحكمية في السياسة  | ابن قيم الجوزية           |
| 3  | قواعد الأحكام   | بن عبد السلام             |
| 4  | الأحكام السلطانية   | للأمام المارودي الشافعي   |
| 5  | الأحكام السلطانية   | للأمام أبي النداء الحنبلي |
| 6  | خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم  | د. محمد فتحي الديني       |
| 7  | الأمة والسلطة والجماعة  | د. رضوان السيد            |
| 8  | دراسة في منهج الإسلام السياسي   | سعدي أبو جيب              |
| 9  | وظيفة الحاكم في الدولة الإسلامية  | د. عارف أبو عيد           |
| 10 | الكفاءة الإدارية في السياسة الشرعية   | د. عبد الله أحمد قادري    |
| 11 | الإسلام دين ودولة ونظام   | عبد الحميد حسن العمراني   |
| 12 | السياسة الشرعية   | عبد الوهاب خلاف           |
| 13 | خصائص الفكر السياسي في الإسلام وأهم نظرياته   | محمد جلال شرف             |
| 14 | نظرية الإسلام و السياسة   | المودودي                  |
| 15 | التحالف السياسي في الإسلام  | منير القضيان              |
| 16 | آثار الحرب  | د. وهبه الأصيل            |
| 17 | النظام السياسي في الإسلام   | د. محمد أبو فارس          |
| 18 | المبادئ الأساسية للعلاقات الدولية والدبلوماسية وقت السلم والحرب بين التشريع الإسلامي والقانون العام | د. سعيد محمد باناجه       |
| 19 | سلطة  | د. منصور محمد منصور       |
| 20 | سلطة الدولة التشريعية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والدفاعية                                   | د. شحادة الناظور          |

### بعض المراجع الهامة في السياسة الشرعية

## أساليب النبي ﷺ في تصحيح الخطأ عند الصحابة رضوان الله عليهم

بقلم الدكتور/ سالم أحمد سلامة

نائب رئيس رابطة علماء فلسطين

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد.

فإن العلم من أعظم القربات العظيمة التي يتعدى نفعها ، ويعم خيرها ، وهو ميراث الأنبياء والمرسلين، وإنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورِثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرِثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ."

وإنه لفخر لكل من ينتظم في سلك العلم، معلماً كان أو طالباً، أن ينال الشرف العظيم بصلاة الله وملائكته وأهل السماوات وأهل الأرض عليه، قال ﷺ: " وإن الله وملائكته وأهل السماوات والأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير". (أ) وكما أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "... وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ ". (ii)

وللتعليم طرائق وأنواع، وله وسائل وسبل ومنها تصحيح الأخطاء، فالتصحيح من التعليم ، وهما صنوان لا يفترقان .

والله أسأل أن يوفقني، وأن يجعل ذلك خالصاً لوجهه الكريم، إنه سميع قريب مجيب .

تنوع الأساليب في معالجة الخطأ عند الصحابة رضوان الله عليهم :

### 1 - أسلوبه ﷺ بالمعالجة بالغضب :

يستخدم رسول الله ﷺ أسلوب الغضب ليعبر عن عدم رضاه عن الشيء الذي قاله الصحابي ﷺ أو أحدثه ، يدل على ذلك ما رواه الإمام البخاري رحمه الله عن زيد بن خالد الجهني أن النبي صلى الله عليه وسلم سأله رجل عن اللقطة فقال اعرف وكاءها<sup>iii</sup> أو قال وعاءها وعفاصها<sup>iv</sup> ثم عرفها سنة ثم استمتع بها فإن جاء ربها فادها إليه . قال : فضالته الإبل ؟ فعضب حتى احمرت وجنتاه أو قال احمر وجهه فقال وما لك ولها معها سقاؤها وحذاؤها ترد الماء وترعى الشجر فذرها حتى يلقاها ربها قال فضالته الغنم قال لك أو لأخيك أو للذئب ."<sup>v</sup>

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله : " فغضب إما لأنه كان نهى قبل ذلك عن التقاطها ، وإما لأن السائل قصر في فهمه ففاس ما يتعين التقاطه على ما لا يتعين..."<sup>vi</sup>

كما يظهر ذلك جلياً فيما رواه الإمام البخاري رحمه عن أبي موسى رضي الله عنه قال: "سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَشْيَاءَ كَرِهَهَا فَلَمَّا أَكْثَرَ عَلَيْهِ غَضِبَ ثُمَّ قَالَ لِلنَّاسِ: سَلُونِي عَمَّا شِئْتُمْ قَالَ رَجُلٌ: مَنْ أَبِي؟ قَالَ أَبُوكَ خُدَافَةُ. فَقَامَ آخَرَ فَقَالَ: مَنْ أَبِي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ أَبُوكَ سَالِمٌ مَوْلَى شَيْبَةَ. فَلَمَّا رَأَى عُمَرُ مَا فِي وَجْهِهِ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ إِنَّا نَتُوبُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ".<sup>vii</sup>

وفي رواية أنس رضي الله عنه "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خُدَافَةَ فَقَالَ مَنْ أَبِي فَقَالَ أَبُوكَ خُدَافَةُ ثُمَّ أَكْثَرَ أَنْ يَقُولَ سَلُونِي فَبَرَكَ عُمَرُ عَلَى رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيًّا فَسَكَتَ".<sup>viii</sup>

ويقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: "وكذا المعلم إذا أنكر على من يتعلم منه سوء فهم ونحوه، لأنه قد يكون أوعى للقبول منه، وليس ذلك بلانزم في حق كل أحد بل يختلف باختلاف أحوال المتعلمين".<sup>ix</sup>

وهكذا يتضح لنا من هذه الأحاديث أسلوب الغضب في التعليم والموعظة، وما تؤتية من ثمار في عملية التقويم والتصحيح، وهذا يتضح من موقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما قال: "إنا نتوب إلى الله عز وجل"، "فبرك على ركبتيه" وسكوت النبي صلى الله عليه وسلم، فلم يغضب بعدها.

## 2 - أسلوبه صلى الله عليه وسلم بالتعليم بالتوجيه المباشر :

والتوجيه المباشر باستخدام الموعظة الحسنة المباشرة، دون تعنيف أو تشديد. كما ندلل على ذلك بما رواه الإمام البخاري رحمه الله أن عُمَرَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ يَقُولُ كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَتْ يَدِي تَطْيِشُ فِي الصَّحْفَةِ<sup>x</sup> فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا غُلَامُ سَمَّ اللَّهُ وَكُلَّ بِيَمِينِكَ وَكُلَّ مِمَّا يَلِيكَ فَمَا زَالَتْ نَلَّكَ طِعْمَتِي بَعْدُ<sup>xi</sup>.

وفي هذا الحديث الشريف والذي يعتبر عمدة في التوجيه المباشر، من الفوائد واللفتات ما نشير إليه في الآتي :

1- مشاركة المعلم الطلاب أفعالهم، ليتعلموا منه بالقوة والتدريب العملي، وهذا يتضح من مشاركة النبي صلى الله عليه وسلم الأطفال في أكلهم وشربهم.

2- المنادة المحببة: "يا غلام" فمثل هذا الأسلوب أدعى لانتباه المتعلم واستجابته للنصيحة.

3- اختيار الوقت المناسب لعلاج خطأ الغلام عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه وذلك عندما كان الخطأ مستمراً فيه، فيجب تصحيحه قبل أن يتحول إلى عادة مكتسبة، فيصعب معالجتها.

4- لم يعالج النبي صلى الله عليه وسلم طيشان يد الغلام عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه فقط، بل رسم له منهجاً شاملاً في الطعام، ليصحح له من البداية إلى النهاية.

5- الترتيب الصحيح للعلاج : " سم الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك " فهو ترتيب موضوعي وعلمي في حل المشكلة.

6- ثمره هذا الأسلوب في التوجيه المباشر يتضح في كلام الغلام أبي سلمة ؓ " فما زالت تلك طعمتي بعد " .<sup>xii</sup>

### 3- أسلوبه ؓ في الإرشاد إلى خطأ المتعلم بالتعريض:

وهذا أسلوب جيد له أثره في نفوس من كانوا مقصودين بهذا التوجيه . مثاله ما رواه الإمام مسلم رحمه الله عن أنس ؓ : "أَنَّ نَفْرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلُوا أَرْوَاحَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَمَلِهِ فِي السَّرِّ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لَا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ وَقَالَ بَعْضُهُمْ لَا أَكُلُ اللَّحْمَ وَقَالَ بَعْضُهُمْ لَا أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ فَقَالَ مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي " .<sup>xiii</sup>

كما أن الإمام البخاري رحمه الله أخرج الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: "جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدهم أما أنا فإني أصلي الليل أبداً وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فقال أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إنني لأخشاكم لله وأثقاكم له لكني أصوم وأفطر وأزهد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني " .<sup>xiv</sup>

### والملاحظ في الروايتين الصحيحتين ما يلي:

أ - أن النبي ؓ أتاهم فوعظهم في أنفسهم ، فيما بينه وبينهم . ولما أراد أن يعلم الناس أبهمهم ، ولم يفضحهم ، وإنما قال : " ما بال أقوام " وهذا رفقاً بهم وستراً عليهم ، مع تحصيل المصلحة في الإخبار العام.

ب- في الحديث تتبع أحوال الأكابر للناسي بأفعالهم ، والسير على منوالهم ، وأن التنقيب عن ذلك من كمال العقل والسعي في تربية النفس.

ج- وفيه أن الأمور المفيدة والمشروعة إذا تعذرت معرفتها من جهة الرجال جاز استكشافها من جهة النساء .

د- وأنه لا بأس بحديث المرء عن عمله إذا أمن الرياء ، وكان الإخبار منفعة للآخرين .

هـ- وفيه أن الأخذ بالتشديد في العبادة يؤدي إلى إملال النفس القاطع لها عن أصل العبادة، وخير الأمور أوسطها .<sup>xv</sup>

إن الأخطاء عموماً تنشأ من خلل في التصور ، فإذا صلح التصور قلَّت الأخطاء كثيراً . وواضح من الحديث أن السبب الذي دفع أولئك الصحابة إلى تلك الصور من التبتل والرهبانية والتشديد هو ظنهم أن لا بد من الزيادة على عبادة النبي ﷺ رجاء النجاة ، حيث إنه اخبر من ربه بالمغفرة بخلافهم ، فصحح لهم النبي ﷺ تصورهم المجانب للصواب ، وأخبرهم مع كونه مغفوراً له فإنه أخشى الناس وأتقاهم الله ، وأمرهم بان يلزموا سنته وطريقته في العبادة. (xvi)

ومثاله أيضاً ما رواه الإمام البخاري رحمه الله " أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ حَدَّثَهُمْ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي صَلَاتِهِمْ فَاسْتَدَّ قَوْلُهُ فِي ذَلِكَ حَتَّى قَالَ لَيَنْتَهُنَّ عَنْ ذَلِكَ أَوْ لَتُخَطَفَنَّ أَبْصَارُهُمْ " . xvii

**ومن الفوائد الأخرى لهذا الأسلوب النبوي في التوجيه التعليمي ما يلي:**

- 1- أنه يحفظ شخصية المتعلم عند أصحابه ، فلا يقل شأنه ومرتبته بينهم .
- 2- يؤدي إلى زيادة روابط الثقة والمحبة بين المعلم والمتعلم ، ويحس المتعلم بالطمأنينة .
- 3- يصح بهذا الأسلوب أخطاء متعلمين آخرين غير مقصودين . xviii
- 4- أنه أكثر قبولاً وتأثيراً في النفس .
- 5- أنه أستر للمخطئ بين الناس .

فبالأسلوب غير المباشر أسلوب تربوي نافع للمخطئ ولغيره إذا استعمل بحكمة.

وينبغي الانتباه إلى أن أسلوب التعريض هذا لإيصال الحكم إلى المخطئ دون فضحه وإحراجة ، إنما يكون إذا كان أمر المخطئ مستوراً لا يعرفه أكثر الناس ، أما إذا كان أكثر الحاضرين يعرفونه وهو يعلم بذلك ، فإن الأسلوب حينئذ قد يكون أسلوب تفرغ وتوبيخ وفضح ، بالغ السوء والمضايقة للمخطئ ، بل إنه ربما يتمنى لو أنه ووجه بخطئه ، ولم يستعمل معه ذلك الأسلوب . ومن الأمور المؤثرة فرقاً : مَنْ الذي يوجِّه الكلام ؟ وبحضرة من يكون الكلام ؟ وهل كان بأسلوب الإثارة والاستفزاز أم بأسلوب النصح والإشفاق ؟

**4- أسلوبه ﷺ في الإرشاد إلى خطأ المتعلم بالتوبيخ :**

قد يحتاج الأمر إلى بعض الشدة في بعض الحالات والتي لا يستطيع المعلم أن يقدم غير الشدة عليها . خاصة إذا كان الأمر فيه خطأ شنيع لا يمكن المرور عنه مر الكرام ، أو السكوت دون توجيه. وهذا الأسلوب أتى أكله ، وأينع ثمره في حياة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، وهذا ما يتضح مما رواه الإمام البخاري رحمه الله "عَنْ مَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ عَنْ أَبِي دَرٍّ قَالَ : رَأَيْتُ عَلَيْهِ بُرْدًا وَعَلَى غُلَامِهِ بُرْدًا فَقُلْتُ لَوْ أَخَذْتُ هَذَا فَلَيْسَتْهُ كَانَتْ حُلَّةً وَأَعْطَيْتُهُ ثَوْبًا آخَرَ فَقَالَ : كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ كَلَامٌ وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً فَلَيْتُ مِنْهَا فَذَكَرْتَنِي إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِي: "أَسَابَيْتَ

فَلَا نَا؟! قُلْتُ: نَعَمْ . قَالَ: "أَفَلَيْتَ مِنْ أُمَّه؟! قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: "إِنَّكَ أَمْرٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ". قُلْتُ: عَلَى حِينِ سَاعَتِي هَذِهِ مِنْ كَبِيرِ السَّنِّ؟! قَالَ: "نَعَمْ هُمْ إِخْوَانُكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ فَمَنْ جَعَلَ اللَّهُ أَخَاهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ وَلَا يُكَلِّفْهُ مِنَ الْعَمَلِ مَا يَغْلِبُهُ فَإِنْ كَلَّفَهُ مَا يَغْلِبُهُ فَلْيُعِنْهُ عَلَيْهِ . " XIX

وكان التوبيخ من النبي ﷺ أسلوباً للإرشاد إلى خطأ ما أقدم عليه الصحابي من تعبير صحابي آخر بأمة الأعجمية ، لأن ديننا دين المساواة بين الجميع ، ولا تفاضل بين الناس إلا بالتقوى ، وكذلك لأنه أساء إلى الآخر فينبغي أن يعالج بالمثل ليشعر أثر التوبيخ على نفسه ، ولقد كان أسلوبنا ناجعا ، يدل عليه أنه أثر في أبي ذرٍّ ؓ كثيراً ، يتضح هذا في جواب أبي ذرٍّ ؓ لمن اقترح عليه أن يأخذ الحلة التي كانت على غلامه ، والحلة التي عليه ويصنع منهما حلة أوسع وأكبر ، فأجاب بما حصل معه مع بلال رضوان الله عليهم أجمعين وتوبيخ النبي ﷺ له ، مما يدل على أثر هذا الأسلوب في نفسه مما أنهى هذه الخصلة الجاهلية إلى الأبد .

#### 5 - أسلوبه ﷺ في التوجيه بالمقاطعة والهجران :

إن أسلوب التوجيه بالمقاطعة والهجران ، لهو من أنجع الأساليب عند بعض النفوس ، وهو أسلوب تعليمي وتأديبي ، وليس أدل على ذلك من حديث كعب بن مالك حين تخلف عن النبي ﷺ في معركة تبوك ، وهو ما رواه الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ وَكَانَ قَائِدَ كَعْبٍ مِنْ بَنِيهِ حِينَ عَمِيَ قَالَ سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ يُحَدِّثُ حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ قِصَّةِ تَبُوكَ قَالَ كَعْبٌ لَمْ أَتَخَلَّفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ تَخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ وَلَمْ يُعَاتِبْ أَحَدًا تَخَلَّفَ عَنْهَا إِلَّا مَا حَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدُ عَيْرَ فَرِيشٍ حَتَّى جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ وَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْعُقَبَةِ حِينَ تَوَاقَفْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ وَمَا أَحْبَبُّ أَنْ لِي بِهَا مَشْهَدٌ بَدْرٍ وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ أَذْكَرَ فِي النَّاسِ مِنْهَا كَانَ مِنْ خَبْرِي ... وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلَامِنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ فَاجْتَنَبْنَا النَّاسَ وَتَعَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَنَكَّرَتْ فِي نَفْسِي الْأَرْضُ فَمَا هِيَ الَّتِي أَعْرِفُ فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانَا وَقَعَدَا فِي بَيْتَيْهِمَا بَيْنَكِيَانٍ وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ فَكُنْتُ أَخْرَجُ فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ وَأُطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ وَآتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسَلَّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَأَقُولُ فِي نَفْسِي هَلْ حَرَكَ شَفَتَيْهِ بَرْدَ السَّلَامِ عَلَيَّ أَمْ لَا ثُمَّ أَصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ فَأَسَارِفُهُ النَّظَرَ فَإِذَا أُقْبِلْتُ عَلَى صَلَاتِي أَقْبَلَ إِلَيَّ وَإِذَا انْقَضَتْ نَحْوُهُ أَعْرَضَ عَنِّي حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْ جَفْوَةِ النَّاسِ مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ وَهُوَ ابْنُ عَمِّي

وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَوَاللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ فَقُلْتُ يَا أَبَا قَتَادَةَ أُنشِدُكَ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمُنِي أَحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَسَكَتَ فَعُدْتُ لَهُ فَتَشَدَّثْتُ فَسَكَتَ فَعُدْتُ لَهُ فَتَشَدَّثْتُ فَقَالَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَقَاضَتْ عَيْنَايَ وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الْجِدَارَ ... حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً مِنَ الْخَمْسِينَ إِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتِينِي فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزَلَ أَمْرَاتِكَ فَقُلْتُ أَطْلُقُهَا أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ قَالَ لَا بَلْ اعْتَزِلْهَا وَلَا تَقْرُبْهَا وَأَرْسَلِ إِلَيَّ صَاحِبِي مِثْلَ ذَلِكَ فَقُلْتُ لِأَمْرَاتِي الْحَقِي بِأَهْلِكَ فَتَكُونِي عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ قَالَ كَعْبٌ فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هِلَالَ بْنِ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أُخْدَمَهُ قَالَ لَا وَلَكِنْ لَا يَفْرَنْكَ قَالَتْ إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلَيَّ شَيْءٍ وَاللَّهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ إِلَيَّ يَوْمِهِ هَذَا فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي لَوْ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَمْرَاتِكَ كَمَا أَذِنَ لِامْرَأَةِ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدَمَهُ فَقُلْتُ وَاللَّهِ لَا اسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا يُدْرِينِي مَا يَقُولُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اسْتَأْذَنْتَهُ فِيهَا وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ فَلَبِثْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ حَتَّى كَمَلْتُ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نَهَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ كَلَامِنَا فَلَمَّا صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ صُبْحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا قَبِينَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ فَذُ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَجَبْتُ سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَى جَبَلٍ سَلَعٍ بِأَعْلَى صَوْتِهِ يَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ أَبْشِرْ قَالَ فَخَرَزْتُ سَاجِدًا وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ وَأَذَنَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الْفَجْرِ فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا وَذَهَبَ قَبِيلَ صَاحِبِي مُبَشِّرُونَ وَرَكَضَ إِلَيَّ رَجُلٌ فَرَسًا وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ فَأَوْفَى عَلَى الْجَبَلِ وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ فَلَمَّا جَاعَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي تَزَعْتُ لَهُ تَوْبِي فَكَسَوْتُهُ إِيَّاهُمَا يُبَشِّرَاهُ وَاللَّهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ وَاسْتَعْرَتْ تَوْبَتَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا وَأَنْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا يَهْنُونِي بِالنُّوْبَةِ يَقُولُونَ لَتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ قَالَ كَعْبٌ حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ يُهْرُولُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّانِي وَاللَّهِ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ وَلَا أَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ قَالَ كَعْبٌ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَبْزُقُ وَجْهَهُ مِنَ السُّرُورِ أَبْشِرْ بِخَيْرٍ يَوْمَ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدْتِكَ أُمَّكَ قَالَ قُلْتُ أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ قَالَ لَا بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سَرَّ اسْتَتَارَ وَجْهَهُ حَتَّى كَانَهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِ اللَّهِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ قُلْتُ فَإِنِّي أَمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بَخِيرَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ

اللَّهُ إِنَّمَا نَجَّانِي بِالصِّدْقِ وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيْتُ قَوْلَ اللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ أَبْلَاهُ اللَّهُ فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلَانِي مَا تَعَمَّدْتُ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى يَوْمِي هَذَا كَذِبًا وَإِنِّي لِأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ فِيمَا بَقِيْتُ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ( لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ) إِلَى قَوْلِهِ ( وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ) ...<sup>xx</sup>

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرح الحديث: "...وأن الإمام إذا استتفر الجيش عموماً لزمهم النفير ولحق اللوم بكل فرد أن لو تخلف . وقال السهيلي : إنما اشتد الغضب على من تخلف وإن كان الجهاد فرض كفاية لكنه في حق الأنصار خاصة فرض عين ، لأنهم بايعوا على ذلك، ومصداق ذلك قولهم وهم يحفرون الخندق:

### نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً

فكان تخلفهم عن هذه الغزوة كبيرة لأنها كالنكت لبيعتهم ، كذا قال ابن بطال . قال السهيلي: ولا أعرف له وجهاً غير الذي قال . قلت: وقد ذكرت وجهاً غير الذي ذكره ولعله أقعد ، ويؤيده قوله تعالى: " ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله " الآية . وعند الشافعية وجه أن الجهاد كان فرض عين في زمن النبي ﷺ ، فعلى هذا فيتوجه العتاب على من تخلف مطلقاً " <sup>xxi</sup>

### ومن الفوائد التعليمية التربوية لهذا الأسلوب :

- 1- إشعار المخطئ بالذنب مباشرة ، وهذا الإحساس يؤدي به إلى تعديل سلوكه .
- 2- المقاطعة تظهر أهمية الجماعة للفرد ولا يشعر بها إلا من عايشها .
- 3- المقاطعة للمخطئ تبين قوة التزام وطاعة المتعلمين لمعلميهم ، ومثل هذه البيئة تكون بيئة خصبة لإيجاد المقياس الحقيقي لقوة الالتزام لدى الجماعة .
- 4- تولد في نفس الجماعة وباقي الأفراد أو الطلاب أن من يرتكب هذا الخطأ سيقاطع مثل هذا. <sup>xxii</sup>



## 6- أسلوبه ﷺ في التوجيه بهدوء التعامل مع المخطئ :

كان الهدوء من طبيعة النبي ﷺ وأسلوبه في التعامل مع الناس ، ولم يكن يغضب أو يشتد على أحد إلا إذا انتهكت حرمانات الله سبحانه وتعالى . وكثيراً ما كان يدعو رسول الله ﷺ صحابته إلى التيسير وعدم التعسير كما ورد عن أبي هريرة ؓ " أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : "... فَأَيُّمَا بُعِثْتُمْ مُيسِرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعْسِرِينَ." (xxiii) ومن عرف الطبيعة العربية علم أن الاشتداد في المعاملة ، قد يؤدي إلى توسيع نطاق المفسدة . ويمكن أن نتبين ذلك من خلال قصة الأعرابي الذي بال في المسجد . فقد أخرج الإمام مسلم عن " أنس بن مالك ؓ قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا هَذَا . قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ فَتَرَكُوهُ حَتَّى يَبَالَ ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلَا الْقَدْرِ ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَأَمَرَ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَسَنَّهُ عَلَيْهِ ." (xxiv)

لقد أنكر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على هذا الأعرابي صنيعة، حرصاً على طهارة مسجدهم . "فصاح به الناس " ، فزجره الناس " ، "فأسرع إليه الناس " وفي الرواية السابقة قولهم " مه مه " ولكن النبي ﷺ نظر إلى عواقب الأمور وأن الأمر يدور بين احتمالين : إما أن يمنع الرجل ، وإما أن يترك . وأنه لو منع فإما أن ينقطع البول فعلاً ، فيحصل على الرجل ضرر من احتباس بوله ، وإما أن لا ينقطع ويتحرك خوفاً منهم ، فيزداد انتشار النجاسة في المسجد أو على جسد الرجل وثيابه ، فرأى النبي ﷺ بتأقّب نظره أن ترك الرجل يبول هو أخف الضررين ، وأهون الشرين ، خصوصاً وأن الرجل قد شرع في المفسدة ، والنجاسة يمكن تداركها بالتطهير ، ولذلك قال لأصحابه : "دعوه لا تزرموه" أي لا تحبسوه ، فأمرهم بالكف لأجل المصلحة الراجحة ، وهو دفع أعظم المفسدتين باحتمال أيسرهما وتحصيل أعظم المصلحتين بترك أيسرهما .

لقد تعامل النبي ﷺ مع الأعرابي معاملة الخبير بنفوس العباد الخاطئین ، أليس هو القائل ما أخرجه الإمام الترمذي رحمه الله " عَنْ أَنَسٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ ." (xxv) فمعرفة هذه الحقيقة أيضاً تفيد في منع فقدان التوازن نتيجة المباغته بحصول الخطأ مما يؤدي إلى ردات فعل غير حميدة . وإدراك هذه الحقيقة فيه تذكير للداعية والمربي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأنه بشر من المبشر يمكن أن يقع فيما وقع فيه المخطئ ، فيعامله من شق الرحمة أكثر مما يعامله من شق القسوة ، لأن المقصود أصلاً هو الاستصلاح لا العقاب .

وقد جاء في رواية أنه ﷺ سأل الرجل عن سبب فعله ، فقد روى الطبراني في الكبير عن ابن عباس ﷺ قال : أتى النبي ﷺ أعرابي فبايعه في المسجد ثم انصرف ، فقام ففحج ثم بال ، فهم الناس به فقال النبي ﷺ : " لا تقطعوا على الرجل بوله " ثم قال : " ألسنت بمسلم؟ " قال : بلى ، قال : ما حملك على أن بليت في مسجدنا ؟ " قال : والذي بعثك بالحق ما ظننته إلا صعيداً من الصعدات فبليت فيه . فأمر النبي ﷺ بذنوب من ماء فصب على بوله . (xxvi)

إن هذا الأسلوب الحكيم في المعالجة قد أحدث أثراً بالغاً في نفس الأعرابي ، يتضح ذلك في عبارته التي وردت عند ابن ماجة عن أبي هريرة قال دخل أعرابي المسجد ورَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ فَقَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلِمَحَمَّدٍ وَلَا تَغْفِرْ لِأَحَدٍ مَعْنًا . فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ لَقَدْ اخْتَضَرْتُ وَاسِعًا ثُمَّ وَلَّى حَتَّى إِذَا كَانَ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ فَشَجَّ يَبُولُ فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ بَعْدَ أَنْ فَقِهَ فَقَامَ إِلَيَّ بِأَيْبِي وَأُمِّي فَلَمْ يُؤْتَبْ وَلَمْ يَسَبَّ فَقَالَ إِنَّ هَذَا الْمَسْجِدَ لَا يُبَالُ فِيهِ وَإِنَّمَا بُنِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ وَلِلصَّلَاةِ ثُمَّ أَمَرَ بِسَجَلٍ مِنْ مَاءٍ فَأَفْرَغَ عَلَى بَوْلِهِ . (xxvii)

وقد ذكر ابن حجر رحمه الله فوائد مستنبطة من هذا الحديث منها :

أ - الرفق بالجاهل وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف إذا لم يكن ذلك منه عناداً ، ولا سيما إن كان ممن يحتاج إلى استئلافه .

ب- وفيه رأفة النبي ﷺ وحسن خلقه .

ج- وفيه أن الاحتراز من النجاسة كان مقرراً في نفوس الصحابة ، ولهذا بادروا إلى الإنكار بحضرتة ﷺ قبل استئذانه ، ولما تقرر عندهم أيضاً من طلب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

د- وفيه المبادرة إلى إزالة المفاصد عند زوال المانع لأمرهم عند فراغه بصب الماء . (xxviii)

#### 7- التوجيه بالضرب :

والتوجيه بالضرب هو آخر ما يلجأ إليه المربي بعد استفاد جميع الوسائل التربوية الترغيبية ، فإذا لم يرتجع المتعلم يمكن استخدام أسلوب الترهيب لإصلاح الخلل الذي قاله أو أبداه . دليله ما رواه الإمام البخاري رحمه الله عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال ، قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرُّوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ وَفَرَّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ . " xxix

كما ورد عن رسول الله ﷺ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : " علقوا السوط حيث يراه أهل البيت ، فإنه أدب لهم " . xxx

ففي الحديثين بيان لأسلوب الضرب ، وهو من أساليب التعليم والتربية ، ولكن الضرب لا يعني التماذي حتى يشفى الغليل ، بل له ضوابط ومواصفات .

#### أما الضوابط :

- 1- لا يكون إلا بعد نفاذ شتى الوسائل التأديبية والزجرية ، لقوله سبحانه وتعالى في معالجة أخطاء الزوجة : " فعظوهن واهجروهن في المضاجع ، واضربوهن ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا".<sup>xxxii</sup>
- 2- عدم الضرب في حالة الغضب ، لقوله ﷺ " لا تغضب"<sup>xxxiii</sup>
- 3- تجنب الأماكن المؤذية والحساسة مثل الرأس والوجه ، لقوله ﷺ : " إذا ضرب أحدكم فليترك الوجه"<sup>xxxiii</sup> .
- 4- أن يكون غير شديد ، وغير مؤلم ، ويكون على اليدين والرجلين والإلية لقوله ﷺ : " لا يجلد فوق عشر جلدات إلا في حد من حدود الله "<sup>xxxiv</sup> .
- 5- أن يقوم المربي بنفسه بالضرب ، لا أن يوكل الأمر لطالب آخر
- 6- الوقت المناسب للضرب عند الخطأ ، وليس بعد يومين .
- 7- إذا لم تثمر هذه الوسيلة ، فليتخذ وسيلة أخرى غير الضرب .

#### مواصفات الضرب :

- 1- أن يكون مفرقا لا مجموعا .
- 2- أن يكون زمن بين الضريتين .
- 3- أن يرفع الضارب ذراعه .
- 4- ألا تكون الأداة المضروب بها سلكا حادا أو عصا غليظة .
- 5- أن تكون العصا متوسطة الطول .<sup>xxxv</sup>

#### 8- التعليم بإصلاح الخطأ فور وقوعه :

كان منهج رسول الله ﷺ أنه إذا رأى أحدا من أصحابه قد أخطأ، أو خالف تعاليم الإسلام، كان ينبه ذلك الصحابي على خطئه ، ويعظه في ذلك . وقد كان ﷺ يبادر إلى ذلك ، لا سيما وأنه لا يجوز في حقه تأخير البيان عن وقت الحاجة ، وأنه مكلف بأن يبين للناس الحق ، ويدلهم على الخير ويحذرهم من الشر . ومسارعة إلى تصحيح أخطاء الصحابة واضحة وكثيرة .

مثاله ما رواه الإمام أبو داود في سننه عن الشريد بن سويد قال مر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا جالس هكذا وقد وضعت يدي اليسرى خلف ظهري وانكأ على النية يدي فقال أتفعد فعدة المعضوب عليهم\*<sup>xxxvi</sup>

ومثاله أيضا ما رواه الإمام مسلم عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ فِي يَدِ رَجُلٍ فَنَزَعَهُ فَطَرَحَهُ وَقَالَ يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ فَقِيلَ لِلرَّجُلِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُذْ خَاتِمَكَ انْتَقِعْ بِهِ قَالَ لَا وَاللَّهِ لَا أَخْذُهُ أَبَدًا وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ\* xxxvii

وإذا كان هذا الخطأ غير شخصي أي يتعلق بعمامة الناس ، كالولادة والعمال والقضاة وما شابههم ، فإن رسول الله ﷺ كان لا يكتفي بزجر المخطئ لوحده ، بل كان يجمع الناس يعظهم ويخطبهم على المنبر ويحذرهم من مثل هذا السلوك ، دون أن يسمي من فعل هذا الخطأ .

مثاله ما رواه الإمام البخاري رحمه الله عن أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه قَالَ اسْتَعْمَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهُ ابْنُ الْأَثْبِيِّ xxxviii عَلَى صَدَقَةٍ فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ قَالَ سُفْيَانُ أَيْضًا فَصَعِدَ الْمِنْبَرِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ مَا بَالُ الْعَامِلِ نُبِعْنُهُ فَيَأْتِي بِشَيْءٍ إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ إِنْ كَانَ بَعِيرًا لَهُ لَهُ أُمَّ لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَأْتِي بِشَيْءٍ إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ إِنْ كَانَ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءً أَوْ بَقْرَةً لَهَا خُوَارٌ أَوْ شَاةٌ تَيْعَرُ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَتِي إِبْطِيهِ أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ثَلَاثًا قَالَ سُفْيَانُ قَصَّةَ عَلَيْنَا الرَّهْرِيِّ وَرَدَّ هِشَامٌ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ قَالَ سَمِعَ أُذُنَايَ وَأَبْصَرْتُهُ عَيْنِي وَسَلُّوا زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فَإِنَّهُ سَمِعَهُ مَعِي وَلَمْ يَقُلِ الرَّهْرِيُّ سَمِعَ أُذُنِي ( خُوَارٌ ) صَوْتٌ وَالْجُوَارُ مِنْ ( تَجَارُونَ ) كَصَوْتِ الْبَقْرَةِ " . xxxix

هذا وأكد العلماء التربيون في العصر الحديث على ضرورة إصلاح الخطأ عند الطالب فور وقوعه ، وعدم تركه بدون تصحيح حتى لا يرسخ ذلك الخطأ في ذهنه .<sup>xl</sup> وإن عدم المبادرة إلى تصحيح الأخطاء قد يفوت المصلحة ، ويضيع الفائدة ، وربما تذهب الفرصة وتضيع المناسبة ، ويبرد الحدث ويضعف التأثير .

## 9- تذكير المخطئين بمبدأ الإسلام :

قد يغيب عن الإنسان في غمرة الأحداث ، المبدأ الشرعي العظيم ، ويضيع في المعصية ، فيكون في إعادة إعلان المبدأ والجهر بالقاعدة الشرعية ، رد لمن أخطأ ، وإيقاظ من الغفلة التي تنتاب الإنسان .

مثاله ما أخرجه الإمام البخاري رحمه الله في الحادثة الخطيرة التي وقعت بين المهاجرين والأنصار ، بسبب الفتنة التي أوقدها المنافقون . فعن جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ غَرَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ ثَابَ مَعَهُ نَاسٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ حَتَّى كَثُرُوا وَكَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلٌ لَعَابٌ فَكَسَعَ  
 أَنْصَارِيًّا فَعَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ غَضَبًا شَدِيدًا حَتَّى تَدَاعَوْا وَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ يَا لَأَنْصَارٍ وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ يَا  
 لِلْمُهَاجِرِينَ فَحَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَا بَالَ دَعَوَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ ثُمَّ قَالَ مَا شَأْنُهُمْ  
 فَأُخْبِرَ بِكَسَعَةِ الْمُهَاجِرِيِّ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعُوهَا فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ وَقَالَ  
 عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بِنْدَةَ ابْنُ سُلَيْمٍ أَقْدَمْتُ دَعَاؤًا عَلَيْنَا لِنَرَّجِعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزَّ مِنْهَا الْأَذَلَّ فَقَالَ  
 عُمَرُ أَلَا تَقْتُلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْخَبِيثَ لِعَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ  
 أَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ". (xii)

### 10- معالجة الخطأ بالموعظة وتكرار التخويف:

وهذا أسلوب نبوي عظيم الأثر في النفس البشرية، وهاهو أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ وابن حبه  
 رضوان الله عليهم أجمعين يبدو ذلك واضحاً عليه وعلى غيره من الصحابة رضوان الله عليهم ،  
 وذلك في حديثه الذي أخرجه الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه عن أسامة بن زيد بن حارثة يُحَدِّثُ  
 قَالَ بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْحُرَقَةِ مِنْ جُهَيْنَةَ فَصَبَّحْنَا الْقَوْمَ فَهَرَمْنَاهُمْ وَلَحِقْتُ أَنَا  
 وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا غَشِينَاهُ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَكَفَّ عَنْهُ الْأَنْصَارِيُّ وَطَعْنَتْهُ بِرُمْحِي  
 حَتَّى قَتَلْتُهُ قَالَ فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِي يَا أُسَامَةُ أَقْتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا  
 إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِمَّا كَانَ مُتَعَوِّدًا قَالَ فَقَالَ أَقْتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَالَ فَمَا  
 زَالَ يُكْرِرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ". (xiii)

كما أخرج الإمام مسلم أن جُنْدَبَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيَّ بَعَثَ إِلَى عَسْعَسِ بْنِ سَلَامَةَ رَمَنَ فِتْنَةَ ابْنِ  
 الرُّبَيْرِ فَقَالَ اجْمَعْ لِي نَفَرًا مِنْ إِخْوَانِكَ حَتَّى أُحَدِّثَهُمْ فَبِعَثَ رَسُولًا إِلَيْهِمْ فَلَمَّا اجْتَمَعُوا جَاءَ جُنْدَبَ وَعَلَيْهِ  
 بُرْنُسٌ أَصْفَرٌ فَقَالَ تَحَدَّثُوا بِمَا كُنْتُمْ تَحَدَّثُونَ بِهِ حَتَّى دَارَ الْحَدِيثُ فَلَمَّا دَارَ الْحَدِيثُ إِلَيْهِ حَسَرَ الْبُرْنُسُ  
 عَنْ رَأْسِهِ فَقَالَ إِنِّي أَتَيْتُكُمْ وَلَا أُرِيدُ أَنْ أُخْبِرُكُمْ عَنْ نَبِيِّكُمْ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ  
 بَعْنًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى قَوْمٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَإِنَّهُمْ النِّقْوَةُ فَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِذَا شَاءَ أَنْ يَقْصِدَ إِلَى  
 رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ لَهُ فَقَتَلَهُ وَإِنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ غَفْلَتَهُ قَالَ وَكُنَّا نَحَدِّثُ أَنَّهُ أُسَامَةُ بْنُ  
 زَيْدٍ فَلَمَّا رَفَعَ عَلَيْهِ السَّيْفَ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَتَلَهُ فَجَاءَ الْبَشِيرُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ حَتَّى أَخْبَرَهُ خَبَرَ الرَّجُلِ كَيْفَ صَنَعَ فَدَعَاهُ فَسَأَلَهُ فَقَالَ لِمَ قَتَلْتَهُ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْجَعَ  
 فِي الْمُسْلِمِينَ وَقَتَلَ فُلَانًا وَفُلَانًا وَسَمَّى لَهُ نَفَرًا وَإِنِّي حَمَلْتُ عَلَيْهِ فَلَمَّا رَأَى السَّيْفَ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْتَلْتُهُ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِإِلَهِ إِلَّا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَغْفِرْ لِي قَالَ وَكَيْفَ تَصْنَعُ بِإِلَهِ إِلَّا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ فَجَعَلَ لَا يَزِيدُهُ عَلَيَّ أَنْ يَقُولَ كَيْفَ تَصْنَعُ بِإِلَهِ إِلَّا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " . (xliii)

وأما مثال التخويف أيضاً والتذكير بقدرة الله سبحانه وتعالى ، ما أخرجه الإمام مسلم عن أبي مسعود البدرى كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي بِالسُّوْطِ فَسَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ خَلْفِي اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ فَلَمْ أَفْهَمْ الصَّوْتَ مِنَ الْعَضْبِ قَالَ فَلَمَّا دَنَا مِنِّي إِذَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا هُوَ يَقُولُ اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ قَالَ فَأَلْقَيْتُ السُّوْطَ مِنْ يَدِي فَقَالَ اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ أَنَّ اللَّهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الْغُلَامِ قَالَ فَقُلْتُ لَا أَضْرِبُ مَمْلُوكًا بَعْدَهُ أَبَدًا " . (xliii) وفي رواية أخرى عند مسلم أيضاً عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي فَسَمِعْتُ مِنْ خَلْفِي صَوْتًا اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ اللَّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ فَالْتَفَتْتُ فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ حَرٌّ لِرُؤُوسِهِ اللَّهُ فَقَالَ أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لِلْفَحْتِكَ النَّارَ أَوْ لِمَسْنِكَ النَّارَ " . (xliii)

## 11- عدم التسرع في التخطئة أو العقوبة:

وكان من أسلوبه ﷺ أن لا يتسرع في تخطئة أحد ، إلا أن يأتي بشيء من الذنوب مبين ، وقصة عمر بن الخطاب مع هشام بن حكيم بن حزام رضى الله عنهما في قراءة سورة الفرقان تشهد على ذلك .

روى الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه عن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب يقول سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حَزَامٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَمَعْتُ لِقِرَاءَتِهِ فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ لَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَدْتُ أَسَاوِرُهُ فِي الصَّلَاةِ فَتَنَصَّبْتُ حَتَّى سَلَّمَ فَلَبَّيْتُهِ بِرِدَائِهِ فَقُلْتُ مَنْ أَقْرَأَكَ هَذِهِ السُّورَةَ الَّتِي سَمِعْتِكَ تَقْرَأُ قَالَ أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ كَذَبْتَ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَقْرَأَنِيهَا عَلَى غَيْرِ مَا قَرَأْتَ فَاَنْطَلَقْتُ بِهِ أَفُودَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ بِسُورَةِ الْفُرْقَانِ عَلَى حُرُوفٍ لَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَسَلَهُ أَقْرَأُ يَا هِشَامُ فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَذَلِكَ أَنْزَلْتُ ثُمَّ قَالَ أَقْرَأُ يَا عُمَرُ فَقَرَأْتُ الْقِرَاءَةَ الَّتِي أَقْرَأَنِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَذَلِكَ أَنْزَلْتُ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ فَافْرَعُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ " . (xliii)

## الفوائد التربوية من هذا الحديث :

أ - يطلب من طالب العلم ألا يتعجل بتخطئة من حكى قولاً يخالف ما يعرفه، إلا بعد التثبت، فربما يكون ذلك القول قولاً معتبراً عند أهل العلم.

ب- أمرُ النبي ﷺ عمر ﷺ بإطلاق هشام ﷺ بقوله: " أرسله " فيه تهيئة الخصمين للاستماع وهما في حال الهدوء ، وفيه إشارة إلى استعجال عمر ﷺ .

ج- أمر كل واحد مهما أن يقرأ أمام الآخر مع تصويبه أبلغ في تقرير صوابهما وعدم خطأ أي منهما.

وأما عدم تسرعه ﷺ في العقوبة يستفاد مما رواه الإمام النسائي رحمه الله عن عبادِ بْنِ شُرْحَبِيلِ ﷺ قَالَ قَدِمْتُ مَعَ عُمُومَتِي الْمَدِينَةَ فَدَخَلْتُ حَائِطًا مِنْ حَيْطَانِهَا فَفَرَكْتُ مِنْ سُنْبُلِهِ فَجَاءَ صَاحِبُ الْحَائِطِ فَأَخَذَ كِسَائِي وَضَرَبَنِي فَأَثَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْتَعْدِي عَلَيْهِ فَأَرْسَلَ إِلَيَّ الرَّجُلُ فَجَاءُوا بِهِ فَقَالَ مَا حَمَلَكَ عَلَيَّ هَذَا فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ دَخَلَ حَائِطِي فَأَخَذَ مِنْ سُنْبُلِهِ فَفَرَكَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا عَلَّمْتَهُ إِذْ كَانَ جَاهِلًا وَلَا أَطَعَمْتَهُ إِذْ كَانَ جَائِعًا أَزِدُّ عَلَيْهِ كِسَاءَهُ وَأَمَرَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوَسْقٍ أَوْ نِصْفِ وَسْقٍ . (xlvii)

ويستفاد من هذا الحديث أن معرفة ظروف المخطئ أو المتعدي يوجه إلى الطريقة السليمة في التعامل معه .

كما يلاحظ أن النبي ﷺ لم يعاقب صاحب البستان ، لأنه صاحب حق ، وإنما خطأه في أسلوبه ، ونبهه بأن تصرفه مع من يجهل لم يكن بالتصرف السليم في مثل ذلك الموقف ، ثم أرشده إلى التصرف الصحيح ، وأمره برد ما أخذه من ثياب الجائع .

## 12- أسلوب المعالجة ببيان مضره الخطأ :

ولأن الخطأ قد يعود ضرره على من فعله وحده ، وقد يتعدى إلى الآخرين . فمن الأول ما رواه الإمام أبو داود عن ابن عباسٍ أَنَّ رَجُلًا لَعَنَ الرِّيحَ وَقَالَ مُسْلِمٌ إِنَّ رَجُلًا نَارَعَتْهُ الرِّيحُ رِذَاءَهُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَعَنَهَا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَلْعَنُهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ وَإِنَّهُ مَنْ لَعَنَ شَيْئًا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ رَجَعَتْ اللَّعْنَةُ عَلَيْهِ . (xlviii) وهنا اللعنة إن لم يكن المدعو عليه لها بأهل، فإنها ترجع على صاحبها الداعي بها .

ومنها ما يتعدى إلى إنسان آخر ، مثاله ما رواه الإمام مسلم رحمه الله عَنْ نَفِيعِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ رضي الله عنه قَالَ مَدَحَ رَجُلٌ رَجُلًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَقَالَ وَيْحَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ مِرَارًا إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا صَاحِبَهُ لَا مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ أَحْسِبُ فَلَانًا وَاللَّهُ حَسْبِيهِ وَلَا أَرْكِي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا أَحْسِبُهُ إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ كَذَا وَكَذَا " . (xlix)

فقد بين النبي صلى الله عليه وسلم لهذا المبالغ في المدح المخطئ فيه عاقبة خطئه ، وذلك أن الزيادة في الإطراء تدخل في قلب الممدوح الغرور ، فيته بنفسه كبيراً أو إعجاباً ، وربما يفتر عن العمل متواكلاً على الشهرة الآتية من المدح ، أو يقع في الرياء لما يحسه من لذة فيكون في ذلك هلاكه ، وهو ما عبّر عنه صلى الله عليه وسلم بقوله "وَيْحَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ مِرَارًا" .

ثم إن المادح قد يجازف في المدح ويقول ما لا يتحققه، ويجزم بما لا يستطيع الاطلاع عليه، وقد يكذب ، وقد يرائي الممدوح بمدحه ، فتكون الطامة، لا سيما إن كان الممدوح ظالماً أو فاسقاً كما يجري كثيراً على ألسنة المادحين للزعماء أو الملوك والسلطين والأمراء .

والمدح ليس منهياً عنه بإطلاق، وقد مدح النبي صلى الله عليه وسلم أشخاصاً وهم حضور، وقد جاء في عنوان الباب في صحيح مسلم إيضاح مهم: " باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنة على الممدوح" .

والذي يعد نفسه مقصراً لا يضره المدح ، وإذا مدح لا يعتز ، لأنه يعرف حقيقة نفسه . قال بعض السلف: " إذا مدح الرجل في وجهه فليقل : اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ، ولا يؤاخذني بما يقولون، واجعلني خيراً مما يظنون" . (i)

ومن أمثلة ما يعود ضرره على المجموع ما أخرج الإمام أبو داود رحمه الله في سننه عن أبي ثعلبة الخشني قال كَانَ النَّاسُ إِذَا نَزَلُوا مَنْزِلًا قَالَ عَمْرُو كَانَ النَّاسُ إِذَا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْزِلًا تَفَرَّقُوا فِي الشَّعَابِ وَالْأَوْدِيَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ تَفَرُّقَكُمْ فِي هَذِهِ الشَّعَابِ وَالْأَوْدِيَةِ إِنَّمَا ذَلِكَ مِنْ الشَّيْطَانِ فَلَمْ يَنْزِلْ بَعْدَ ذَلِكَ مَنْزِلًا إِلَّا انْضَمَّ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ حَتَّى يُقَالَ لَوْ بُسِطَ عَلَيْهِمْ ثَوْبٌ لَعَمَّهُمْ " . (ii)

ويلاحظ رعاية النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه الكرام ، وفيه حرص القائد على مصلحة جنوده .

إن تفرق الجيش إذا نزل فيه تخويف الشيطان للمسلمين وإغراء للعدو بهم. (iii)

والتفرق يمنع بعض الجيش من معونة بعض. (iiii)



ويلاحظ امتثال الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين لتوجيه النبي ﷺ فيما استقبلوا من أمرهم.

وقد يصيب الخطأ الناشئ من فرد واحد مجموعة من المسلمين ، أو يحذرهم الرسول ﷺ من مردود خطأ أفعال بعض المسلمين . مثال ذلك : ما رواه الإمام النسائي رحمه الله عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ﷺ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَتُسَوَّنَّ صُفُوفُكُمْ أَوْ لِيُخَالَفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ". (liii).

### 13 - أسلوبيه ﷺ في بيان خطورة الخطأ :

لم يترك النبي ﷺ سبيلاً من سبل الإرشاد إلا سلكه ، ومن هذه السبل بيان خطورة الخطأ ، وما يؤدي إليه من خلل في العقيدة ، ومن خلل في الجبهة الداخلية . فالخطأ على الذات الإلهية أو على رسول الله ﷺ أو على صحابة رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين وهو القائل في شأنهم فيما رواه الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه : " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مَدًّا أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَةً" (liii) لأن الطعن في صحابة رسول الله ﷺ يعتبر طعناً في إيمان الطاعن ، فهذا مجال ليس للهزل فيه نصيب .

فقد أخرج الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله عن ابن عمر ﷺ قال : قال رجل في غزوة تبوك في مجلس : ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً ، ولا أكذب ألسناً ، ولا أجبن عند اللقاء ! فقال رجل في المجلس : كذبت ، ولكنك منافق ! لأخبرن رسول الله ﷺ ، ونزل القرآن . قال عبدالله بن عمر : فأنا رأيته متعلقاً بحقب ناقة رسول الله ﷺ تتكبه الحجارة وهو يقول : يا رسول الله ، إنما كنا نخوض ونلعب ! ورسول الله ﷺ يقول : " أبا الله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون!؟ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم " . (liii)

وهل يجوز أن يتسلى المرء المسلم بالكذب والافتراء على الناس؟! فكيف إذا كان الأمر يخص صحابة رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين ، وهم الذين نصر الله بهم نبيه ﷺ ، وهم الذين هاجروا ، وأووا ونصروا ، ونقلوا لنا الدين صافياً نقياً . فأى استهزاء بهم أو خطأ في حق أحدهم يعتبر سباً لهم ، وهذا هو الذي ورد الحديث بالنهي عنه .

### 14 - أسلوبيه ﷺ في تعليم المخطئ عملياً :

لا ينكر أحد أن التعليم العملي أقوى وأشد أثراً من التعليم النظري ، وهذا هو المشاهد والملموس في مجال التربية والتعليم ، ولذلك هرع المعلمون إلى وسائل التعليم المختلفة ، بالتجسيم أو الصورة أو

الرسم أو الإشارة إلى غير ذلك من الوسائل المشهورة مثل إجراء التجربة أمام المتعلمين حتى ترسخ في أذهانهم . وهذا أسلوب استخدمه المصطفى ﷺ . فقد روى جبير بن نفيير عن أبيه أنه قدم على رسول الله ﷺ فأمر له بوضوء فقال : توضأ يا أبا جبير ، فبدأ أبو جبير بفيه . فقال له رسول الله ﷺ : " لا تبتدئ بفيك يا أبا جبير ؛ فإن الكافر يبتدئ بفيه " ، ثم دعا رسول الله ﷺ بوضوء ، فغسل كفيه حتى أنقاهما ، ثم تمضمض واستنشق ثلاثاً ، وغسل وجهه ثلاثاً ، وغسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاثاً واليسرى ثلاثاً ، ومسح رأسه ، وغسل رجليه . " (vii)

وهنا لم يكتف النبي ﷺ ببيان خطأ الصحابي ﷺ ، ولكن علمه كيفية الوضوء المثلى عملياً ، حيث توضح أمامه . فيصبح هذا العمل من الأمور الثابتة في ذهن الصحابي ﷺ ، والتي لا ينساها إلا ما شاء الله .

وتبيين مفاصل الخطأ ، وما يترتب عليه من العواقب أمر مهم في إقناع المخطئ للكف عن خطئه . والملاحظ هنا أن النبي ﷺ عمد إلى تفتير الصحابي ﷺ من فعله المجانب للصواب عندما أخبره أن الكافر يبدأ بفيه ، ولعل المعنى أن الكافر لا يغسل كفيه قبل إدخالهما في الإناء، وهذا من عدم المحافظة على النظافة .

#### 15 - أسلوبه ﷺ في تقديم البديل الصحيح :

لقد أصبح من المعلوم من الشريعة الإسلامية الغراء ، أنها جاءت لتسهل على الناس حياتهم ، فإذا حرم الشارع الحكيم شيئاً فإنه يقدم البديل عوضاً عن أي منفعة محرمة . فلما حرم الشارع الحكيم الربا أباح البيع ، ولما حرم الزنا شرع النكاح ، ولما حرم الخنزير والميتة وكل ذي ناب ومخلب أباح الذبائح من بهيمة الأنعام وغيرها . وهكذا غيرها ثم لو وقع الشخص في أمر محرّم فقد أوجد له الشارع الحكيم المخرج بالتوبة والكفارة كما هو مبين في نصوص الكفارات . فينبغي على الدعاة ، والأميرين بالمعروف والناهين عن المنكر أن يحذوا حذو نبينا ﷺ في تقديم البدائل وإيجاد المخرج الشرعية .

ولعل أول ما يخطر ببال العالم من أمثلة ذلك، هو ذكر الحديث الصحيح الذي يغني عن الحديث الضعيف أو الموضوع في أي مسألة من مسائل الشرع إن كان فيها حديث صحيح. مثال ذلك ما رواه الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه عن عبد الله بن مسعود ﷺ قَالَ كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصَّلَاةِ قُلْنَا السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ السَّلَامُ عَلَى فُلَانٍ وَفُلَانٍ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَقُولُوا السَّلَامَ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ وَلَكِنْ قُولُوا التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ

وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمْ أَصَابَ كُلَّ عَبْدٍ فِي السَّمَاءِ أَوْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ثُمَّ يَتَخَيَّرُ مِنَ الدُّعَاءِ أَعْجَبَهُ إِلَيْهِ فَيَدْعُو". (viii)

فرسول الله ﷺ لم يكتف ببيان الخطأ ، ولكن أرشهم إلى البديل الصحيح

ومثال آخر في بيان حرمة بيع التمر بالتمر ، واعتبار ذلك من الربا المنهي عنه. وهو ما رواه البخاري أن أبا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ جَاءَ بِلَالٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَمْرٍ بَرْنِيٍّ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَيْنَ هَذَا قَالَ بِلَالٌ كَانَ عِنْدَنَا تَمْرٌ رَدِيٌّ فَبِعْتُ مِنْهُ صَاعَيْنِ بِصَاعٍ لِنُطْعِمَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ أَوْهٌ أَوْهٌ عَيْنُ الرَّبَا عَيْنُ الرَّبَا لَا تَفْعَلْ وَلَكِنْ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَشْتَرِيَ فَبِعِ التَّمْرَ بِبَيْعٍ آخَرَ ثُمَّ اشْتَرِهِ". (ix)

والتمر البرني هو نوع من أنواع التمر الجيد . وكلمة أَوْه كلمة تقال عند الشكاية والتوجع .

## 16 - أسلوبه ﷺ في الإرشاد إلى ما يمنع من إعادة وقوع الخطأ :

وقوع الخطأ من ابن آدم شيء عادي ، أي من شأن ابن آدم ، كما قال المصطفى ﷺ: " كل ابن آدم خطأ ، وخير الخطائين التوابون". ولكن الأمر الذي يجب أن ننتبه إليه: التوبة السريعة، والإنابة إلى الله سبحانه وتعالى بعد معرفتنا للخطأ ، وهذا ما يحمد عليه الذي تاب من خطئه.

لكن الأمر المهم هو أن نرشد المخطئ إلى ما يمنعه من إعادة الخطأ ، بأسلوب سهل ، وراذع في الوقت نفسه، وهذا ما نجده من فعل المصطفى ﷺ مع عامر بن ربيعة ؓ عندما حسد سهل بن حنيف ؓ، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أن أباه حدثه أن رسول الله ﷺ خرج وساروا معه نحو مكة ، حتى إذا كانوا بشعب الخَزَّارِ من الجحفة ، اغتسل سهل بن حنيف وكان رجلاً أبيض حسن الجسم والجلد، فقال : ما رأيت كاليوم ولا جلد مَحْبَأَةً ، فَلَبِطَ سَهْلٌ ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقِيلَ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! هل لك في سهل ؟ والله ما يرفع رأسه وما يفيق . قال : " هل تتهمون فيه من أحد؟" قالوا : نظر إليه عامر بن ربيعة . فدعا رسول الله ﷺ عامراً فَتَعَيَّظَ عَلَيْهِ وَقَالَ : " علام يقتل أحدكم أخاه ؟! هلا إذا رأيت ما يعجبك بَرَكْتُ !" ثم قال له : اغتسل له . فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخله إزاره في قدح ، ثم صب ذلك الماء عليه ، يصبُّه رجل على رأسه وظهره من خلفه يُكْفِي القَدْحَ وَرَاءَهُ ، ففعل به ذلك ، فراح سهل مع الناس ليس به بأس".<sup>ix</sup>

## 17 - أسلوبه ﷺ في إرشاد المخطئ إلى تصحيح خطئه:

وقد استعمل المصطفى ﷺ عدة أساليب لإرشاد المخطئ إلى تصحيح خطئه، منها:

### أ - محاولة لفت نظر المخطئ إلى خطئه ، ليقوم بتصحيحه بنفسه :

مثال ذلك ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وكان مع رسول الله ﷺ قال: فدخل النبي ﷺ فرأى رجلاً جالساً وسط المسجد مشبكاً بين أصابعه يحدث نفسه، فأوماً إليه النبي ﷺ ، فلم يفتن، قال : فالتفت إلى أبي سعيد فقال: " إذا صلى أحدكم فلا يشبكن بين أصابعه، فإن التشبيك من الشيطان، فإن أحدكم لا يزال في صلاة ما دام في المسجد حتى يخرج منه ".<sup>lxi</sup> وهكذا يشعر المخطئ بأنه قام بتصحيح خطئه بنفسه، وأنه شارك المربي أو المرشد في التصحيح وأخذ الأجر.

ب - طلب إعادة الفعل على الوجه الصحيح إذا كان ذلك ممكناً : مثال ذلك ما رواه البخاري رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في ناحية المسجد فصلّى ثم جاء فسلم عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليك السلام أرجع فصلّ فإنك لم تصلّ فرجع فصلّى ثم جاء فسلم فقال وعليك السلام فارجع فصلّ فإنك لم تصلّ فقال في الثانية أو في التي بعدها علمني يا رسول الله فقال إذا فمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء ثم استقبل القبلة فكبر ثم اقرأ بما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن ركعاً ثم ارفع حتى تستوي قائماً ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ثم ارفع حتى تطمئن جالساً ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ثم ارفع حتى تطمئن جالساً ثم افعل ذلك في صلاتك كلها ".<sup>lxii</sup>

- ومن الملاحظ أن من الحكمة في التعليم، طلب الشيخ من تلميذه إعادة الفعل من المخطئ ، لعله ينتبه إلى خطئه، فيصححه بنفسه خصوصاً إذا كان الخطأ ظاهراً، لا ينبغي أن يحدث منه، وربما يكون ناسياً فينذكر .

- كما أن المخطئ إذا لم ينتبه إلى خطئه وجب البيان والتفصيل.

- أن إعطاء المعلومة للشخص إذا اهتم بمعرفتها وسأل عنها وتعلقت بها نفسه، أوقع أثراً في حسه وأحفظ في ذهنه من إعطائه إياها ابتداء دون سؤال ولا تشوف.

- إن وسائل التعليم كثيرة، يختار منها المربي ما يناسب الحال والمرء.

- ويلاحظ أن النبي ﷺ كان ينتبه لأفعال صحابته من حوله، كي يعلمهم، وقد وقع في رواية الإمام النسائي رحمه الله: " أن رجلاً دخل المسجد فصلى ورسول الله ﷺ يرمقه ، ونحن لا نشعر ، فلما فرغ أقبل فسلم على رسول الله ﷺ فقال: " ارجع فصل فإنك لم تصل ...<sup>lxiii</sup>

### ج - طلب تدارك ما أمكن لتصحيح الخطأ :

يجب أن يرشد المخطئ لتصحيح خطئه بأسهل أسلوب ، دون تعنيف ، ما دام الخطأ يمكن تداركه ، مثال ذلك ما أخرجه الإمام البخاري رحمه الله عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم فقال رجل فقال يا رسول الله امرأتي خرجت حاجة واكتئبت في غزوة كذا وكذا قال ارجع فحج مع امرأتك<sup>lxiv</sup> وذلك في جهاد فرض الكفاية .

### د - إصلاح آثار الخطأ :

ويمكن للمعلم أن يجعل المخطئ يصلح ما أخطأ ، ما دام الأمر مستدركاً ، مثال ذلك ما أخرجه الإمام النسائي رحمه الله عن عبد الله بن عمرو أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إنني جئت أبايك على الهجرة ولقد تركت أبوي يبيكان قال ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكتهما<sup>lxv</sup> .

بل يحسن أن يعان المخطئ على تصحيح خطئه ما أمكن وذلك أوقع في النفس ، وأدعى للقبول ، وأحسن للاقتداء، مثال ذلك ما أخرجه الإمام البخاري رحمه الله أن أبا هريرة رضي الله عنه قال بينما نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل فقال يا رسول الله هلكت. قال ما لك؟ قال وقعت على امرأتي وأنا صائم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل تجد رغبة تُعنفها؟ قال: لا. قال فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا. فقال: فهل تجد إطعام سبتين مسكيناً؟ قال: لا. قال: فمكث النبي صلى الله عليه وسلم فبينما نحن على ذلك أتى النبي صلى الله عليه وسلم بعرق فيها تمر، والعرق المكث. قال: أين السائل؟ فقال: أنا. قال: خذها فتصدق به. فقال الرجل: ألقى أوفر مني يا رسول الله؟! فوالله ما بين لأبنتها يريد الحرتين أهل بيت أوفر من أهل بيتي . فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت أنيابهُ ثم قال: أطعمهُ أهلك<sup>lxvi</sup> .

### هـ - الكفارة عن الخطأ:

والأخطاء تنتوع ، فمنها ما هو كبير ، ومنها ما هو صغير ، فالصغير تكفره الكفارات والحسنات أي الأعمال الصالحة من صدقة واستغفار ، لقوله سبحانه وتعالى : "إن الحسنات يذهبن السيئات" . أما الكبائر فتكفرها التوبة .

فإذا كانت بعض الأخطاء لا يمكن استدراكها فإن الشريعة قد جعلت أبواباً آخر لمحو أثرها ، ومن ذلك الكفارات وهي كثيرة : ككفارة اليمين والظهار وقتل الخطأ والوطء في نهار رمضان وغيرها

## 18 - أسلوبه ﷺ في إنكار موضع الخطأ فقط ، وقبول باقي عمل المخطئ:

قد لا يكون فعل المخطئ أو كلامه كله خطأ ، فالحكمة تقتضي أن ينكر على موضع الخطأ ، وعدم تعميم التخطئة لنعم كل فعل المخطئ أو كلامه ، فالتعميم في أكثر الأحيان يجانب الصواب . مثال ذلك ما أخرجه الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه عن الرُّبِيعِ بْنِ مُعَوِّذِ بْنِ عَفْرَاءَ قَالَتْ جَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَخَلَ حِينَ بُنِيَ عَلَيَّ فَجَلَسَ عَلَيَّ فِرَاشِي كَمَا جَلَسَ مِنِّي فَجَعَلْتُ جُوبِرِيَّاتٍ لَنَا يَضْرِبْنَ بِالْذِفِّ وَيَنْدُبْنَ مَنْ قُتِلَ مِنْ آبَائِي يَوْمَ بَدْرٍ إِذْ قَالَتْ إِحْدَاهُنَّ وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ فَقَالَ : " دَعِيَ هَذِهِ وَقَوْلِي بِالَّذِي كُنْتُ تَقُولِينَ " .<sup>lxvii</sup> وفي رواية الترمذي : " فقال لها رسول الله ﷺ : " اسكتي عن هذه ، وقولي الذي كنت تقولين قبلها " .<sup>lxviii</sup> وفي رواية ابن ماجه : فقال : " أما هذا فلا تقولوه ؛ ما يعلم ما في غدِ إلا الله " .<sup>lxix</sup> ولا شك أن مثل هذا التصحيح يشعر المخطئ بإنصاف وعدل القائم على التصحيح ، ويجعل تنبيهه أدهى للقبول في نفس المخطئ . بخلاف بعض المنكرين الذين قد يغضب أحدهم من الخطأ غضباً يجعله يتعدى الخطأ إلى الصواب ، فيرد كل ما جاء عن المخطئ ولو كان حقاً . وذلك يسبب عدم قبول كلامه وعدم انقياد المخطئ لتصحيح المصحح ، أو إنكار المُنْكَرِ .

وبعض المخطئين لا يكون خطوهم في ذات الفعل الذي أتوه أو الكلام الذي تفوهوا به ، ولكن في المناسبة التي أتوا بها الفعل أو قالوا فيها ذلك الكلام ، مثال ذلك طلب قراءة الفاتحة عند وفاة شخص ما . فيقرؤها الحاضرون ، وقد يحتجون بأن ما قرءوا قرأنا وليس كفراً ، فلا بد أن يُبين لهم أن الخطأ في فعلهم هو في تخصيص الفاتحة بهذه المناسبة على وجه التحديد ، بنية التعبد دون دليل شرعي . وهذه هي البدعة بعينها . وهذا الذي لفت إليه ابن عمر رضي الله عنهما نظر رجلٍ عطس إلى جنبه ، فقد أخرج الإمام الترمذي رحمه الله بسنده عن نَافِعِ أَنَّ رَجُلًا عَطَسَ إِلَى جَنْبِ ابْنِ عُمَرَ فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ قَالَ ابْنُ عُمَرَ وَأَنَا أَقُولُ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَلَيْسَ هَكَذَا عَلَّمَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَّمَنَا أَنْ نَقُولَ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ " .<sup>lxx</sup>

## 19 - أسلوبه ﷺ في الإعراض عن بعض الخطأ اكتفاء بما جرت الإشارة إليه منه تكراً مع المخطئ:

لما في ذلك من حسن التأدب وحسن المعاشرة ، ولو كان الإنسان يعاتب كل صاحب له على ما يجد منه فلن يبقى له صاحب، فكيف إذا كان الأمر مع الزوجة. مثال ذلك قول الله سبحانه وتعالى في: "وإذ أسرَّ النبي إلى بعض أزواجه حديثاً فما نبأت به وأظهره الله عليه ، عرف بعضه وأعرض عن بعض ، فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا ؟ قال : نبأني العليم الخبير".<sup>lxxi</sup>

قال القاسمي رحمه الله في محاسن التأويل: " وإذ أسر النبي " أي محمد ﷺ " إلى بعض أزواجه" هي حفصة ، " حديثاً " تحريم فتاته .. أو ما حرَّم على نفسه مما كان الله جل ثناؤه قد أحله له، " فلما نبأت به" أطلعه عن تحديثها به " عرف بعضه " أي عرفها بعض ما أفشته معاتباً، " وأعرض عن بعض " أي بعض الحديث تكراً.

تنبية: في الإكليل: في الآية أنه لا بأس بإسرار بعض الحديث إلى من يركن إليه من زوج أو صديق، وأنه يلزمه كتمانها، وفيها حسن المعاشرة مع الزوجات، والتلطف في العتب، والإعراض عن استقصاء الذنب.<sup>lxxii</sup>

## الخلاصة :

وهكذا بعد هذه الاقتباسات من سنة المصطفى ﷺ نستطيع الخلوص إلى القول بتنوع الأساليب النبوية في التعامل مع أخطاء الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين . وأن ذلك قد اختلف باختلاف الأحوال والأشخاص ، ومن كان لديه فقه في دين الله ، وأراد الاقتداء بنبينا محمد ﷺ قاس النظر على النظر ، الشبيه على الشبيه ، فيما يمر به من مواقف وأحداث ليتوصل إلى الأسلوب المناسب للحالة التي بين يديه .

والله نسأل أن يلهمنا الصواب في القول والعمل ، وأن يلهمنا رشدنا في السر والعلن ، وأن يهدي بنا ، وأن يجعلنا مفاتيح للخير مغاليق للشر ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، وسلم تسليمًا كثيرًا .



## فهرست أسلوب النبي ﷺ في تصحيح الخطأ

- 1 - رواه الإمام الترمذي في سننه ، طبعة وتحقيق أحمد شاكر ، رقم الحديث 2685 ، وقال الترمذي : " هذا حديث حسن غريب صحيح " .
- 2- صحيح مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب فضل الاجتماع على قراءة القرآن وعلى الذكر ، رقم الحديث 4867 .
- 8- الوكاء بكسر الواو ، الخيط الذي يربط به .
- iv- العفاص : بكسر العين المهملة ، ثم فاء موحدة ، فمد فصاد مهملة : وهو الوعاء كما فسرها الحديث .
- v - صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب العلم باب الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره 186/1 ، ومثله في كتاب اللقطة ، باب إذا جاء صاحب اللقطة بعد سنة ردّها عليه (2256) ، وكتاب الطلاق ، باب حكم المفقود في أهله و ماله (4882) ، والآداب باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله (5647) ، وصحيح مسلم كتاب اللقطة باب (بدون) (3248، 3249) ، وسنن الترمذي في كتاب الأحكام باب ما جاء في اللقطة وضالة الإبل والغنم (1293) ، وسنن أبي داود في كتاب اللقطة باب التعريف باللقطة (1451) .
- vi - فتح الباري 187/1 .
- vii - صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب العلم ، باب الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره 187/1
- viii - صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب العلم ، باب الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره 188/1
- ix - فتح الباري 187/1 .
- x - الصفحة : إناء كالثقفة المبسوطة ونحوها . النهاية في غريب الحديث 13/3 .
- xi - صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الأطعمة ، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين 521/9 .
- xii - انظر من أساليب الرسول في التربية ص 26 - 28 .
- xiii - صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب النكاح ، باب استحباب النكاح لمن تافت نفسه إليه 175/9 .
- xiv - صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب الترغيب في النكاح . رقم الحديث 5063 .
- xv - فتح الباري 104/9 .
- xvi - الأساليب النبوية في التعامل مع أخطاء الناس ، لمحمد صالح المنجد ، طبعة أولى ، سنة 1419هـ ، 1999م ، ص 43 .
- xvii - صحيح البخاري ، كتاب الأذان ، باب رفع البصر إلى السماء في الصلاة (708)
- xviii - انظر من أساليب الرسول في التربية ص
- xix - صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الأدب ، باب ما ينهى عن السباب 465/10 .
- xx - صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب المغازي ، باب حديث كعب بن مالك 113/8-116 .
- xxi - فتح الباري 123/8 .

- xxii - انظر من أساليب الرسول ﷺ في التربية ص 23 .
- xxiii - صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب قول النبي ﷺ يسروا ولا تعسروا وكان يحب التخفيف . رقم الحديث 6123 .
- xxiv - صحيح مسلم ، كتاب الطهارة ، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت . رقم الحديث 429 .
- xxv - رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة والورع والرفائق عن رسول الله ﷺ رقم الحديث 2499 . وَقَالَ أَبُو عَيْسَى هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ مَسْعَدَةَ عَنْ قَتَادَةَ
- xxvi - رواه الطبراني في المعجم الكبير رقم الحديث 11552 ، 220/11 ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : رجاله رجال الصحيح 10/2 .
- xxvii - سنن ابن ماجه ، كتاب الطهارة وسننها ، باب الأرض يصيبها البول كيف تغسل . تحقيق عبد الباقي رقم الحديث 529 . وهو في صحيح ابن ماجه تحت رقم 428 .
- xxviii - فتح الباري 325-324/1 .
- xxix - سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة (418) ، ومسنند الإمام أحمد 180/2 والحاكم في المستدرک 197/1 .
- xxx - المعجم الكبير للطبراني 345/10 رقم 10671 ، وقال المحقق حمدي السلفي : قال في المجمع 106/8 وإسناد الطبراني فيهما حسن" .
- xxxi - سورة النساء ، آية رقم 34 .
- xxxii - من حديث أبي هريرة ؓ ، صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الأدب ، باب الحذر من الغضب 519/10
- xxxiii - من حديث أبي هريرة ؓ في سنن أبي داود ، كتاب الحدود باب في ضرب الوجه في الحد 167/4
- xxxiv - من حديث أبي بردة في صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الحدود باب كم التعزير والأدب 175/12 .
- xxxv - انظر من أساليب الرسول ﷺ في التربية ص 35-39 .
- xxxvi - سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب كراهة الاعتماد على اليد في الصلاة 260/1 .
- xxxvii - صحيح مسلم ، كتاب اللباس والزينة باب تحريم خاتم الذهب على الرجال 1655/3 .
- xxxviii - وعند الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإمارة (ابن اللبّية) . قال الحافظ ابن حجر في الفتح 165/13 "قوله: يقال له ابن الأتية" كذا في رواية أبي ذر بفتح الهمزة والمشاة وكسر الموحدة ، وفي الهامش باللام بدل الهمزة ، كذلك ووقع كالأول لسائرهم وكذا تقدم في الهمزة ، وفي رواية مسلم باللام المفتوحة ، ثم المشاة الساكنة ، وبعضهم بفتحها . وقد اختلف على هشام بن عروة عن أبيه أيضا أنه باللام أو بالهمزة كما سيأتي قريبا في " باب محاسبة الإمام عماله " بالهمزة ، ووقع لمسلم باللام .

- وقال عياض : ضبطه الأصيلي بخطه في هذا الباب بضم اللام وسكون المشاة ، وكذا قيده ابن السكن . قال وهو الصواب . وكذا قال ابن السمعاني ابن اللتبية بضم اللام وفتح المشاة ، ويقال بالهمز بدل اللام . وقد تقدم أن اسمه عبدالله ، واللتبية أمه لم نقف على تسميتها .
- xxxix - صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الأحكام باب هدايا العمال 164/13 .
- xl - التربية الإسلامية وأساليب تدريسها للمؤلف طه رشيد ، الطبعة الأولى سنة 1983م ، الناشر دار الأرقم ، عمان الأردن ص 71 .
- xli - صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب المناقب ، باب ما ينهى عن دعوة الجاهلية . رقم الحديث 3518 .
- xlii - صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب تحريم قتل كَدَّثَ أَنَّ الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله . رقم الحديث 142 .
- xliii - صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله . رقم الحديث 141 .
- xliv - صحيح مسلم كتاب الإيمان ، باب صحة المماليك وكفارة من لطم عبده . رقم الحديث 3135 .
- xlvi - المصدر السابق ، رقم الحديث 3036 .
- xlvi - صحيح البخاري ، كتاب الفضائل ، باب أنزل القرآن على سبعة أحرق . رقم الحديث 4992 .
- xlvii - سنن النسائي ، كتاب آداب الفضاة ، باب الاستعداد . رقم الحديث 5214 .
- xlviii - سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب اللعن ، رقم الحديث 4262 . وهو في صحيح سنن أبي داود للألباني رقم 4102 .
- xliv - صحيح مسلم ، كتاب الزهد والرفائق ، باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنة على الممدوح ، رقم الحديث 3000 .
- <sup>1</sup> - فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لابن حجر العسقلاني 478/10 .
- li - أبو داود في سننه ، كتاب الجهاد ، باب ما يؤمر من انضمام المعسكر وسعته ، رقم الحديث 2259 .
- وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم الحديث 2288 .
- lii - انظر عون المعبود 292/7 .
- liii - انظر دليل الفالحين 130/6 .
- liv - صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، تسوية الصفوف وإقامتها ، وفضل الأول فالأول منها ، رقم الحديث 659 .
- lv - صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب تحريم سب الصحابة ، رقم الحديث 4610 .
- lvi - تفسير ابن جرير الطبري ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، 333/14 ، ورجاله رجال الصحيح إلا هشام بن سعد فلم يخرج له مسلم إلا في الشواهد كما ورد في الميزان ، وأخرجه الطبري من طريقه وله شاهد بسند حسن عند ابن أبي حاتم من حديث كعب بن مالك . الصحيح المسند من أسباب النزول ص 71 .
- lvii - رواه البيهقي في السنن 46/1 ، وهو في السلسلة الصحيحة للألباني رقم 2820 .

lviii - صحيح البخاري ، كتاب الأذان ، باب ما يتخير من الدعاء بعد التشهد وليس بواجب ، رقم الحديث 835

lix - صحيح البخاري ، كتاب الوكالة ، باب إذا باع الوكيل شيئاً فاسدأً فبيعه مردود ، رقم الحديث 2312 .

lx - مسند الإمام أحمد 486/3 . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : رجال أحمد رجال الصحيح ، 107/5 .

lxi - مسند الإمام أحمد 54/3 ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد " إسناده حسن " . ، 25/2 .

lxii - صحيح البخاري مع فتح الباري ، كتاب الاستئذان ، باب من رد فقال عليك السلام . رقم الحديث 6251

lxiii - المجتبى للسيوطي 193/2 ، وهو في صحيح سنن النسائي للألباني رحمه الله رقم الحديث 1008 .

lxiv - صحيح البخاري مع الفتح كتاب النكاح باب لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم والدخول على المغيبة ،

رقم الحديث 5233 .

lxv - سنن النسائي ، كتاب البيعة ، باب البيعة على الهجرة ، رقم الحديث 4093 ، المجتبى 143/7 ،

وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي رقم الحديث 3881 .

lxvi - صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الصوم ، باب إذا جامع في رمضان ، ولم يكن له شيء فتصدق عليه ،

رقم الحديث 1936

lxvii - صحيح البخاري مع الفتح كتاب النكاح باب ضرب الدف في النكاح والوليمة رقم الحديث 5147 .

lxviii - سنن الترمذي في كتاب النكاح عن رسول الله باب ما جاء في إعلان النكاح ، وقال أبو عيسى : هذا

حديث حسن صحيح . طبعة أحمد شاكر 1090 .

lxix - سنن ابن ماجه ، كتاب النكاح ، باب الغناء والدف ، طبعة عبد الباقي رقم الحديث 1879 ، وصححه

الألباني رحمه الله في صحيح سنن ابن ماجه برقم 1539 .

lxx - سنن الترمذي كتاب الأدب عن رسول الله باب ما يقول العاطس إذا عطس ، قَالَ أَبُو عِيْسَى هَذَا حَدِيثٌ

غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ رَبِيعٍ ، رقم الحديث 2738 .

lxxi - سورة التحريم : آية رقم 3 .

lxxii - محاسن التأويل 222/16 .

## مراجع بحث أسلوب النبي ﷺ في تصحيح الخطأ

- 1 - القرآن الكريم .
- 2 - الأساليب النبوية في التعامل مع أخطاء الناس ، لمحمد صالح المنجد ، طبعة أولى ، سنة 1419هـ ، 1999م .
- 3 - التربية الإسلامية وأساليب تدريسها للمؤلف طه رشيد ، الطبعة الأولى سنة 1983م ، الناشر دار الأرقم ، عمان الأردن .
- 4 - تفسير الطبري ( جامع البيان في تفسير القرآن ) للإمام محمد بن جرير الطبري ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية .
- 5 - جامع الترمذي ( سنن الترمذي ) للإمام أبي عيسى الترمذي ، طبعة وتحقيق أحمد شاكر .
- 6 - دليل الفالحين
- 6 - السلسلة الصحيحة ، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني . الطبعة الأولى .
- 7 - سنن ابن ماجه ، للإمام أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني .
- 8 - سنن أبي داود للإمام سليمان بن الأشعث السجستاني ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد
- 9 - سنن الترمذي ( انظر جامع الترمذي )
- 10 - السنن الكبرى ، للإمام البيهقي .
- 11 - سنن النسائي ، للإمام أحمد بن شعيب النسائي ، دار إحياء السنة ، بيروت .
- 12 - صحيح البخاري ، ( الجامع المسند المختصر من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه ) للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي ، ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي .
- 13 - صحيح مسلم ، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، تحقيق وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي .
- 14 - صحيح سنن ابن ماجه ، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، الطبعة الأولى .
- 15 - صحيح سنن أبي داود ، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، الطبعة الأولى .
- 16 - صحيح سنن النسائي ، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، الطبعة الأولى .
- 17 - عون المعبود شرح سنن أبي داود
- 18 - فتح الباري شرح صحيح البخاري ، للحافظ ابن حجر العسقلاني ، الطبعة السلفية . ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي .
- 19 - المحتبى من أحاديث المصطفى ، للحافظ جلال الدين السيوطي .
- 20 - معاصر التأويل
- 21 - مسند الإمام أحمد ، للإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، طبعة دار الفكر ، بيروت .
- 22 - مسند الإمام أحمد ، للإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، بتحقيق الأستاذ أحمد شاكر .
- 23 - المعجم الكبير للطبراني ، تحقيق حمدي السلفي . الطبعة الأولى
- 24 - المستدرک علی الصحیح للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري الملقب بالحاكم . وبذيله التلخيص للحافظ الإمام الذهبي ، دار المعرفة ، بيروت .
- 25 - من أساليب الرسول ﷺ في التربية
- 26 - النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام ابن الأثير الجزري ، تحقيق طاهر أحمد الزواوي ، والدكتور محمود الطناحي ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي .

---

## الفهرس

- 3..... المقدمة
- 5..... العقيدة الإسلامية
- 64..... القواعد الفقهية في السياسة الشرعية
- 74..... صفات القائد المسلم
- 85..... أخلاقيات وآداب رجل الأمن
- 93..... الرحمة في المجال السياسي والعسكري
- 105..... فقه الموازنات والأولويات في ضوء السياسة الشرعية
- 114..... أساليب النبي صلى الله عليه وسلم في تصحيح الخطأ عند الصحابة رضوان الله عليهم